غزوة الخندق

قال موسى بن عُقْبة: كانت في شوّال سنة أربع. وقال ابن إسحاق: كانت في شوّال سنة خمس[1]. فالله أعلم.

ويقوّي الأوّلَ قولُ ابن عمر إنّه عُرِض يوم أُحُد وهو ابن أربع عشرة، فلم يُجِزْه النّبيّ ﷺ، وعُرِض عليه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة فأجازه. لكنّ هذه التقوية مردودة بما سنذكره في سنة خمسٍ، إن شاء الله تعالى[2].

وفيها تُوُفّي عبدالله ابن رُقَيّة بنت رسول الله ﷺ، وأبوه عثمان رضي الله عنه عن ستّ سنين. ونزل أبوه في حُفْرَته.

وفيها في شعبان وُلد الحسين بن عليّ رضَي الله عنهما.

وفيها قُتِل عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح وأصحابه. وقد ذُكِرُوا. وكنية عاصم: أبو سليمان، واسم جدّه أبي الأقلح: قيس بن عصمة من بني عَمْرو بن عَوْف، ومن ذُرِيّته الأحوص الشاعر ابن عبدالله بن محمد ابن عاصم بن ثابت.

وكان عاصم من الرُّماة المذكورين، ثبت يوم أُحُد وَقَتَلَ غيرَ واحد، وشهد بدْراً.

وقُتل يوم بئر مَعُونة من الصَّحابة:

عامر بن فُهَيْرَة مولى الصِّدّيق رضي الله عنه، وكان من سادة المهاجرين.

---

(١) ابن هشام ٢/ ٢١٤.

(٢) سيأتي ذكر غزوة الخندق مفصلاً في سنة خمس، وإنما ذكرها هنا استطراداً.

ومن قُرَيش: الحَكَم بن كَيْسان المخزومي، ونافع بن بُدَيْل بن ورقاء السهمي.

وقُتِلَ يومئذٍ من الأنصار: الحارث بن الصِّمّة بن عَمْرو بن عتيك بن عَمْرو بن مبذول أبو سعد. فعن محمد بن إبراهيم التَّيْمي، أنّ النّبيّ ﷺ آخى بين الحارث بن الصّمَّة وصُهَيْب. وقال الواقدي[1]: شهد الحارثُ أُحُداً، وثبت مع رسول الله ﷺ وبايعه على الموت، وقَتَلَ عثمان بنَ عبدالله بن المُغيرة. وعن المِسْوَر بن رفاعة أنّ الحارث خرج مع رسول الله ﷺ إلى بدر، فكُسر بالرَّوْحاء، فردّه رسول الله ﷺ إلى المدينة وضرب له بسهمه وأجْرِه. قال ابن سعد[2]: وله ذُرّيّة بالمدينة وبغداد.

حرام بن مِلْحان، واسم مِلْحان مالك بن خالد بن زيد بن حرام بن جُنْدُب بن عامر بن غنم بن عَدِيّ بن النّجّار، شهد بدراً، وهو أخو أمّ سُلَيْم، قال لما طُعِنَ يوم بئر مَعُونة: فُزْتُ وربِّ الكعبة، رحمه الله ورضي عنه.

عطيّة بن عَمْرو، من بني دينار. وهذا لم أره في الصّحابة لابن الأثير.

المنذر بن عَمْرو بن خُنَيْس بن حارثة بن لَوْذان بن عبد ودّ السّاعديّ، أحد النُّقباء ليلة العَقَبَة. شهد بدْراً وأُحُداً. وخُنَيْس هو المعروفُ بالمُعْنِقِ ليموتَ.

أنس بن معاوية بن أنس، أحد بني النّجّار.

أبو شيخ بن ثابت بن المنذر، [و][3] سهل بن سعد، من بني

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٥٠٩.
(٢) الطبقات الكبرى ٣/ ٥٠٨.
(٣) إضافة مني للتوضيح حسب.

النّجّار كلاهما.

مُعاذ بن ناعض[1] الزُّرْقي، بَدْرِي.

عُرْوة بن الصَّلْت السُّلَمي حليف الأنصار.

مالك بن ثابت، وأخوه: سفيان، كلاهما من بني النبيت.

فهؤلاء الذين حُفِظَت أسماؤهم من الشُّهداء السبعين الذين صحّ أنّه نزل فيهم «بلِّغوا عنّا قومَنا أنّا لقينا ربَّنا فرضي عنّا وأرضانا» ثم نُسِخَتْ.

وقيل: بل كانوا اثنين وعشرين راكباً. ولعلّ الراوي عَدّ الركابَ دون الرَّجَّالة.

أخبرنا إسماعيل بن أبي عَمْرو، أخبرنا ابن البنّ، قال: أخبرنا جدّي، قال: أخبرنا ابن أبي العلاء، قال: أخبرنا ابن أبي نصر، قال: أخبرنا ابن أبي العقب، قال: أخبرنا أحمد ابن البُسْري، قال: حدثنا محمد بن عائذ، قال: أخبرني حَجْوَة بن مُدْرَك الغسّاني، عن الحسن بن عمارة، عن الحَكَم، عن مِقْسَم، عن ابن عبّاس رضي الله عنهما، قال: بعث عامر بن مالك مُلاعب الأسِنّة إلى رسول الله ﷺ ابعثْ إليَّ رهَطاً ممّن معك يبلّغوني عنك وهم في جِواري. فأرسل إليه المنذرَ بنَ عَمْرو رضي الله عنه في اثنين وعشرين راكباً، فلما أتوا أداني أرض بني عامر بعث أربعةً ممّن معه إلى بعضِ مياههم، أو قال إلى بعضهم. قال: وسمع عامر بن الطُّفَيْل فأتاهم فقاتلَهم فقتلَهم. قال: ورجع الأربعة رَهَطِ الذين كان وجَّه بهم المنذر، فلما دنوا إذا هم بنُسُورٍ تحومُ، قالوا: إنّا لنرى نُسُوراً تحومُ، وإنَّا نُرَى أصحابنَا قد قُتِلوا. فلما أتوهم قال رجلان منهم: لانطلبُ الشهادة بعد اليوم، فقاتلا حتى قُتِلا. ورجع

---

(١) كُتب على هامش الأصل: «ماعض» في نسخة أخرى.

الرَّجلانِ إلى رسولِ الله ﷺ، فلقيا رجلين من بني عامر فسألاهما مِمَّنْ هما فأخبراهما فقتلاهما وأخَذَا ما معهما. وأتيا رسولَ الله ﷺ فأخبراه خبرَ أصحابهم وخبرَ الرجلين العامريين، وأتياه بما أصابا لهما. فعرف رسولُ الله ﷺ حلَّتين كان كساهما، فقال: قد كانا مِنَّا في عهدٍ. فَوَدَاهُما إلى قومهما دِيَة الحُرَّيْن المُسْلِمَيْن.

وقال حسّان بعد موت عامر بن مالك يُحَرِّضُ ابنه ربيعة:

بَني أمِّ البنين الَمْ يَرُعْكم فذكر الأبيات

فقال ربيعة: هل يرضى منّي حسّان طعنةً أطعنها عامراً؟ قيل: نعم، فشدّ عليه فطعنه فعاش منها.

وفيها تُوُفِّيَتْ أمُّ المؤمنين زينب بنت خُزَيْمَة بن الحارث بن عبدالله ابن عَمْرو بن عبد مَنَاف بن هلال بن عامر بن صَعْصَعَة القَيْسيّة الهَوَازِنيّة العامرية الهِلالية رضي الله عنها، وكانت تُسمَّى أمَّ المساكين لإحسانها إليهم، تزوّجت أوّلاً بالطُّفَيْل بن الحارث بن المطّلب بن عبد مَنَاف رضي الله عنه، ثم طلّقها فتزوّجها أخوه عُبَيْدة بن الحارث رضي الله عنه، فاستُشْهِدَ يوم بدر، ثم تزوّجها رسولُ الله ﷺ في رمضان سنة ثلاثٍ، ومكثت عنده على الصّحيح ثمانيةَ أشهر، وقيل: كانت وفاتها في آخر ربيع الآخر، وصلّى عليها النّبيّ ﷺ ودفنها بالبَقِيع، ولها نحو ثلاثين سنة.

وفيها تزوَّجَ النّبيُّ ﷺ أمَّ سَلَمَة أمّ المؤمنين هندَ بنتَ أبي أُميَّة واسمه حُذَيفة، وقيل: سُهَيْل، ويُدْعَى زاد الراكب؛ ابن المُغِيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم القُرَشيّة المخزومية، وكانت قبله عند ابن عمة النّبيِّ ﷺ أبي سَلَمَة عبدالله بن عبدالأسد بن هلال بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، وأمّه بَرَّة بنت عبدالمطّلب، وهاجر بها إلى الحبشةِ فولدت له هناك

زينب، وولدت له سَلَمَة وعمر ودرَّة، وكان أخا النّبيِّ ﷺ من الرضاعة، أرضعتهما وحمزة ثُوَيْبَةُ مولاةُ أبي لَهَب، ويقال إنّه كان أسلمَ بعد عشرة أنفُسٍ، وكان أوّل مَنْ هاجر إلى الحبشة، ثم كان أوّل من هاجر إلى المدينة، ولما عبر إلى الله كان الذي أغمضه رسولُ الله ﷺ، ثم دعا له، وكان قد جُرِح بأُحُد جرحاً، ثم انتقضَ عليه، فمات منه في جُمادَى الآخرة سنة أربع. فلما تُوُفِّي تزوّجها النّبيُّ ﷺ، حين حلّت في شوّال، وكانت من أجملِ النّساء؛ وهي آخر نسائه وفاةً.

ثم تزوّج بعدها بأيام يسيرة، بنت عمّته أمّ الحَكَم؛ زينب بنت جحش بن رئاب الأسدي، وكان اسمها بَرَّة فسمّاها زينب. وكانت هي وإخوتها من المهاجرين، وأمّهم أُمَيْمَة بنت عبدالمطّلب، وهي التي نزلت هذه الآية فيها: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا ﴿٣٧﴾﴾ [الأحزاب]. وكانت تفخرُ على نساءِ النّبيِّ ﷺ وتقول: زوَّجَكُنّ أهاليكُنَّ وزوَّجني اللهُ من السّماء. وفيها نزلت آية الحجاب[1]، وتزوّجها وهي بنت خمسٍ وثلاثين سنة.

وفي هذه السنة رجم النّبيُّ ﷺ اليهوديَّ واليهوديَّةَ اللَّذَيْن زَنَيَا.

وفيها تُوُفِّيَتْ أمّ سعد بن عُبَادة، ورسول الله ﷺ غائب في بعض مغازية، ومعه ابنها سعد، قال قَتَادَة، عن سعيد بن المسيّب: أنّ النّبيّ ﷺ صلّى على قبر أمّ سعد بعد أشهُرٍ، والله أعلم.

---

(١) الأحزاب: ٥٣.

السَّنَة الخَامِسَة

«غزوة ذات الرقاع»

خرج لها رسول الله ﷺ لعشْرٍ خَلَون من المحرَّم. قاله الواقدي[1] كما تقدّم. وقال ابن إسحاق[2]: إنّها في جُمَادَى الأولى سنة أربع.

غزوة دُومَة الجَنْدَل

وهي بضمّ الدَّال

قيل سُمِّيَتْ بدُومي بن إسماعيل عليه السلام، لكَوْنها كانت مَنْزِلَه. ودَوْمَة بالفتح موضعٌ آخر. وهذه الغزوة كانت في ربيع الأوّل. ورجع النّبيُّ ﷺ قبل أن يصل إليها، ولم يلق كَيْداً[3].

وقال المدائنيّ: خرج ﷺ في المحرَّم، يريد أُكَيْدِرَ دُومة، فهرب أُكَيْدِر، وانصرف النّبيّ ﷺ.

وقال الواقديّ[4]: حدّثني ابن أبي سبرة، عن عبدالله بن أبي لَبِيد، عن أبي سَلَمَة بن عبدالرحمن. وحدثّني عبدالرحمن بن عبدالعزيز، عن عبدالله بن أبي بكر وغيرُهما، قالوا: أراد رسول الله ﷺ أنْ يقْربَ إلى

---

(١) المغازي ١/ ٣٩٥.
(٢) ابن هشام ٢/ ٢٠٣.
(٣) ابن هشام ٢/ ٢١٣.
(٤) المغازي ١/ ٤٠٣.

أدنى الشام ليرْهِب قيصر، وذُكِرَ له أن بدُومَة الجَنْدَل جَمْعَاً عظيماً يَظْلِمون من مرَّ بهم. وكان بها سوق وتجّار، فخرج رسول الله ﷺ في ألف يسيرُ اللَّيلَ ويكمُن النّهار، ودليلُه مذكور العُذْرِيّ، فَنَكَّبَ عن طريقهم، فلما كان بينه وبين دُومة يوم قوي، قال له: يا رسول الله إنَّ سوائمهم ترعى عندَك، فأقِمْ حتى أنظر. وسار مذكور حتّى وجدَ آثارَ النَّعَم، فرجع وقد عرف مواضعَهم، فهجم بالنبيِّ ﷺ على ماشيتهم ورعائهم فأصابَ مَنْ أصاب، وجاء الخبرُ إلى دُومَة فتفرّقوا، ورجع النّبيُّ ﷺ.

وهي عن المدينة ستّة عشر يوماً، وبينها وبين دمشق خمس ليالٍ للمُجِدّ، وبينها وبين الكوفة سبْعُ ليالٍ، وهي أرض ذات نخلٍ، يزرعون الشَّعير وغيرَه، ويَسْقون على النَّواضِح، وبها عين ماء.

غزوة المُرَيْسِيع

وتُسَمّى غزوة بني المُصْطَلِق، كانت في شعبان سنة خمسٍ على الصحيح، بل المجزوم به.

قال الواقدي[1]: استخلف النّبيّ ﷺ فيها على المدينة زيدَ بنَ حارثة. فحدّثني شُعَيْب بن عَبّاد عن المِسْوَر بن رِفاعة، قال: خرج رسول الله ﷺ في سبع مئة.

وقال يونس بن بُكَيْر: قال ابن إسحاق[2]: حدّثني محمد بن يحيى ابن حَبّان، وعاصم بن عمر، وعبدالله بن أبي بكر، قالوا: خرج رسول الله ﷺ، وبلغه أنّ بني المُصْطَلِق يجمعون له، وقائدهم الحارث بن أبي

---

(١) المغازي ١/ ٤٠٤.

(٢) ابن هشام ٢/ ٢٩٠.

ضرار أبو جُوَيْرية أمّ المؤمنين، فسار النّبيُّ ﷺ حتى نزل بالمُرَيْسِيع، ماء من مياههم؛ فَأعَدُّوا لرسولِ الله ﷺ فتزاحفَ النّاسُ فاقتتلوا، فهزم رسولُ الله ﷺ بني المُصْطَلِق وقتلَ مَنْ قتلَ منهم ونفَّل نساءَهم وأبناءهم وأموالهم، وأقام عليهم من ناحية قُدَيْد والسّاحل.

وقال الواقدي[1]، عن معمر وغيره: أنّ بني المُصْطَلِق من خُزاعة كانوا ينزلون ناحية الفُرْع، وهم حُلفاء بني مُدْلِج، وكان رأسَهم الحارث ابنُ أبي ضِرار، وكان قد سار في قومه ومَن قدِر عليه، وابتاعوا خيلاً وسلاحاً، وتهيؤوا للمسير إلى رسول الله ﷺ.

قال الواقديّ[2]: وحدّثني سعيد بن عبدالله بن أبي الأبيض، عن أبيه، عن جدّته، وهي مولاة جُوَيْرية، سمعت جُوَيْرية تقول: أتانا رسولُ الله ﷺ ونحن على المُرَيْسِيع، فأسمع أبي يقول: أتانا ما لا قِبَلَ لنا به، قالت: وكنت أرى من النّاس والخيل والعدة ما لا أصِف من الكَثْرَة، فلما أنْ أسلمتُ وتزوَّجني رسولُ الله ﷺ ورجعنا جعلتُ أنظر إلى المسلمين فليسوا كما كنتُ أرى، فعرفت أنّه رُعْبٌ من الله. وكان رجل منهم قد أسلم يقول: لقد كنّا نرى رجالاً بيضاً على خَيْلٍ بُلقٍ، ما كنّا نراهم قَبْلُ ولا بعدُ.

قال الواقديّ[3]: ونزل رسول الله ﷺ الماءَ، وضُرِبتْ له قُبَّةٌ من أدَم، ومعه عائشة وأمّ سَلَمَة، وصفَّ رسولُ الله ﷺ أصحابَهُ، ثمّ أمر عمر فنادى فيهم، قولوا: لا إله إلاّ الله، تمنعوا بها أنفسَكم وأموالَكم، ففعل عمر، فأبَوْا. فكان أوّل مَنْ رمى رجلٌ منهم بسهم، فرمى المسلمون ساعةً بالنَّبل، ثم إنَّ رسولَ الله ﷺ أمر أصحابه أنْ يحملوا،

---

(١) المغازي ١/ ٤٠٨.
(٢) المغازي ١/ ٤٠٨.
(٣) المغازي ١/ ٤٠٧.

فحملوا، فما أفلتَ منهم إنسانٌ، فَقُتِلَ منهم عشرةٌ وأُسِرَ سائرُهم، وقُتِلَ من المسلمين رجل واحد.

وقال ابن عَوْن: كتبتُ إلى نافع أسأله عن الدُّعاء قبلَ القتالِ، فكتب: إنّما كان ذلك في أوَّلِ الإسلام، قد أغار[1] رسول الله ﷺ على بني المُصْطَلِق وهم غارُّون، وأنعامُهم تُسْقَى على الماء، فقتل مقاتلتهم وسَبَى سَبْيهم، فأصاب يومئذٍ ـ أحْسبُهُ قال: جُوَيْرِية ـ، وحدّثني ابنُ عمر بذلك، وكان في ذلك الجيش. مُتَّفقٌ عليه[2].

وقال إسماعيل بن جعفَر، عن ربيعة الرأي، عن محمد بن يحيى بن حَبَّان، عن ابنِ مُحَيْريز، سمع أبا سعيد يقول: غزوْنا مع رسول الله ﷺ بني المُصْطَلِقْ فسَبَينا كرائم العرب، وطالت علينا العُزْبَة، ورغِبْنا في الفِداء فأردْنا أنْ نستمتع ونَعْزِل، فسألنا رسول الله ﷺ فقال: لا عليكم أنْ لا تفعلوا، ما كتب الله خلْقَ نسمةٍ هي كائنة إلى يوم القيامة إلاّ ستكون. مُتَّفقٌ عليه، عن قُتَيبة عن إسماعيل[3].

تَزويج رَسُولِ الله ﷺ بجُويْرية

وقال يونس، عن ابن إسحاق[4]: حدّثني محمد بن جعفر بن الزُّبَيْر، عن عُرْوَة، عن عائشة، قالت: لمّا قَسَمَ رسولُ الله ﷺ سبايا بني المُصْطَلِق وقعت جُوَيْرِية في السهم لثابتِ بن قيس بن شماس، أو لابنِ عمٍّ له فكاتَبَتْه على نفسها، وكانت امرأةً حُلْوَةً مُلاّحة، لا يراها أحدٌ إلاّ أخذتْ بنفسه فأتتْ رسولَ الله ﷺ تَستعينُه في كتابتها، فَوَاللهِ ما هو إلاّ أنْ

(١) في نسخة البشتكي: «أشار» وما هنا من النسخ ومصادر الحديث.
(٢) البخاري ٣/ ١٩٤، ومسلم ٥/ ١٣٩.
(٣) البخاري ٥/ ١٤٧-١٤٨، ومسلم ٤/ ١٥٧.
(٤) ابن هشام ٢/ ٢٩٤-٢٩٦.

رأيتُهَا فكرهتها، وقلتُ: سيرى منها مِثْلَ ما رأيتُ. فلما دخلتْ على رسولِ الله ﷺ قالت: أنا جُوَيْرِية بنتُ الحارث سيّد قومه، وقد أصابني من البلاءِ ما لم يَخْفَ عليك، وقد كاتبتُ فأعنِّي. فقال: أو خيرٌ من ذلك، أؤدِّي عنكِ كتابتَكِ وأتزوَّجُكِ. فقالت: نعم، ففعل رسولُ الله ﷺ فبلغ الناسَ أنّه قد تزوّجها، فقالوا: أصهار رسولِ الله ﷺ. فأرسلوا ما كان في أيديهم من بني المُصْطَلِق فلقد أُعْتِقَ بها مئة أهلِ بيتٍ من بني المُصْطَلِق، فما أعلمُ امرأةً كانت أعظم بركةً على قومها منها. وكان اسمها بَرَّة فسمَّاها رسولُ الله ﷺ جوَيْرِية.

وقال يونس، عن ابن إسحاق[1]: حدّثني محمد بن يحيى بن حَبّان، وعبدالله ابن أبي بكر، وعاصم بن عمر بن قَتَادة، في قصّة بني المُصْطَلِق: فبينا النّبيّ ﷺ مقيم هناك، إذ اقتتل على الماء جَهْجَاه بن سعيد الغِفَاريّ أجير عمر، وسِنان بن زيد[2]. قال: فحدّثني محمد بن يحيى أنّهما ازدحما على الماءِ فاقتتلا، فقال سِنان: يا مَعْشَرَ الأنصار. وقال جهجاه: يا مَعْشَرَ المهاجرين. وكان زيد بن أرقم ونفرٌ من الأنصار عند عبدالله بن أُبَيّ، يعني: ابن سَلُول، فلما سمعها قال: قد ثَاوَرُونا في بلادنا. واللهِ ما أعُدّنا وجَلابيبَ قُريشٍ هذه إلاّ كما قال القائل: سَمِّنْ كَلْبَكَ يأكلك، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليُخْرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ. ثم أقبل على مَنْ عنده من قومه، فقال: هذا ما صنعتم بأنفسكم، أحْلَلتُموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أمَا والله لو كففتم عنهم لتحوَّلوا عنكم من بلادكم. فسمعها زيد، فذهَب بها إلى رسولِ الله ﷺ وهو غُلَيِّمٌ، وعنده عمر فأخبره الخبر. فقال عمر: يا رسولَ الله مُرْ عَبّادَ

---

(١) ابن هشام ٢/ ٢٩٠-٢٩٣.

(٢) هكذا في النسخ، والمحفوظ أنه سنان بن وبر، كما في ابن هشام، والواقدي، وغيرهما.

ابن بِشْرٍ فلْيَضْرِبْ عُنُقه. فقال: كيف إذا تحدّث النّاس أنّ محمداً يقتل أصحابه؟ لا ولكنْ ناد يا عمر في الرحيل. فلما بلغ ذلك ابنَ أُبَيّ أتى النّبيَّ ﷺ يعتذر، وحلفَ له باللهِ ما قالَ ذلك، وكان عند قومِه بمكانٍ. فقالوا: يا رسولَ الله عسى أنْ يكون هذا الغلامُ أوهم. وراح رسولُ الله ﷺ مهجراً في ساعةٍ كان لا يروحُ فيها. فَلَقِيَه أُسَيْد بن حُضَيْر فسلَّمَ عليه بتحية النُّبُوة ثم قال: والله لقد رُحْتَ في ساعةٍ مُنْكرة. فقال: أمَا بَلَغكَ ما قال صاحبُك ابنُ أبيٍّ؟ فقال: يا رسولَ الله فأنتَ واللهِ العزيزُ وهو الذّليلُ. ثم قال: يا رسولَ الله ارفُق به، فَوَالله لقد جاء اللهُ بكَ وإنَّا لَنَنْظِمُ له الخَرَز لنُتَوِّجَه فإنّه لَيَرَى أنْ قد استلبتَهُ مُلْكاً. فسار رسولُ الله ﷺ بالنّاسِ بقيَّةَ يومِه وليلته، حتى أصبحوا وحتّى اشتدّ الضُّحى. ثم نزل بالنّاس ليشغلهم عمّا كانَ من الحديثِ، فلم يأمن النّاسُ أنْ وجدوا مَسَّ الأرضِ فناموا. ونزلت سورة المنافقين.

وقال ابن عُيَيْنَة: حدثنا عَمْرو بن دينار، قال: سمعت جابراً يقول: كنّا مع النّبيِّ ﷺ في غَزَاةٍ، فكَسَعَ[1] رجلٌ من المهاجرين رجلاً من الأنصار. فقال الأنصاري: يا للأنصار. وقال المهاجريّ: يا للمهاجرين. فقال رسول الله ﷺ: ما بال دعوى الجاهلية؟ دعوها فإنّها مُنْتِنَة. فقال عبدالله بن أُبَيّ بن سَلُول: أوَ قد فعلوها؟ واللهِ لئِن رجعنا إلى المدينة ليُخْرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلّ. قال: وكانت الأنصار بالمدينة أكثر من المهاجرين حين قدِم النّبيّ ﷺ ثم كثُر المهاجرون بعد ذلك. فقال عمر: دعني أضرب عُنُقَ هذا المنافق. فقال النَّبيُّ ﷺ: دعه لا يتحدّث النّاسُ أنّ محمداً يقتل أصحابه. مُتَّفقٌ عليه[2].

---

(١) أي: ضربه بيده أو برجله على دُبُره.

(٢) البخاري ٦/١٩١-١٩٢، ومسلم ٨/١٩، وانظر المسند الجامع حديث (٢٧٦٩).

وقال عُبَيْدالله بن موسى: أخبرنا إسرائيل، عن السُّدّي، عن أبي سعيد الأزدي، قال: حدثنا زيد بن أرقم، قال: غَزَونا مع رسول الله ﷺ، وكان معنا ناسٌ من الأعراب. فكنّا نبتدر الماءَ، وكانت الأعراب يسبقوننا، فيسبق الأعرابيُّ أصحابه، فيملأ الحوضَ ويجعل حوله حجارة، ويجعل النّطْعَ عليه حتى يجيء أصحابُه، فأتى أنصاريٌّ فأرخى زمامَ ناقته لتشرب فمنعه، فانتزع حجراً فغاضَ الماء، فرفع الأعرابيُّ خشبةً فضرب بها رأسَ الأنصاريّ فَشَجَّه، فأتى عبدالله بن أُبَيّ فأخبره فغضب وقال: لا تُنْفِقوا على مَنْ عندَ رسولِ الله ﷺ حتى يَنْفَضُّوا من حوله؛ يعني الأعراب. وقال: لئِنْ رجعنا إلى المدينةِ ليُخْرِجَنَّ الأعَزّ منها الأذلّ. قال زيد: فسمِعْتُه فأخبرتُ عمّي، فانطلق فأخبرَ رسولَ الله ﷺ، فحلفَ وجَحَدَ، فصدَّقَهُ رسولُ الله ﷺ وكذَّبني. فجاء إليَّ عمّي فقال: ما أردَت أنْ مَقَتَكَ رسولُ الله ﷺ وكذَّبك المسلمون. فوقع عليَّ من الغَمّ ما لم يقع على أحدٍ قَطّ. فبينا أنا أسيرُ مع رسولِ الله ﷺ وقد خفقتُ برأسي من الهمِّ، إذ أتاني رسولُ الله ﷺ فعَرَكَ أُذُني وضحكَ في وجهي، فما كانَ يَسُرُّني أنَّ لي بها الخُلْدَ أو الدنيا. ثم إنّ أبا بكر لحِقني فقال: ما قالَ لك رسولُ الله ﷺ؟ قلت: ما قال لي شيئاً. فقال أبْشِرْ. فلمّا أصبحنا قرأ رسولُ الله ﷺ سورةَ المنافقين حتى بلغ منها: ﴿الأذَلَّ﴾[1].

وقال إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن زيد بن أرْقَم، قال: سمعت عبدَالله بن أُبَيّ يقول لأصحابه: لا تُنْفِقوا على مَن عند رسول الله حتى ينفضُّوا من حوله. وقال: لئِن رجَعْنا إلى المدينة ليُخْرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذَلَّ. فذكرتُ ذلك لعمّي فذكره لرسول الله ﷺ، فحلفوا ما قالوا، فصدّقهم وكذّبني، فأصابني هَمٌّ، فأنزل الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ

(١) أخرجه الترمذي (٣٣١٣).

﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ ۝١﴾ [المنافقون]، فأرسل إليَّ رسولُ الله ﷺ فقرأها عليَّ، وقال: إنّ الله صدّقك يا زيد. أخرجه البخاري[1].

وقال أنس بن مالك: زيد بن أرقم هو الذي يقول له رسولُ الله ﷺ: «هذا الذي أوفى الله له بأُذنه». أخرجه البخاري، من حديث عبدالله بن الفضل، عن أنس[2].

وقال الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، أنَّ النّبيَّ ﷺ قدِم من سَفَرٍ، فلما كان قُرْبَ المدينة هاجتْ ريحٌ تكاد أنْ تدفنَ الرَّاكبَ، فزعم أنّ رسول الله ﷺ قال: بُعثت هذه الريح لموتِ مُنافق. قال: فقدِم المدينةَ فإذا منافقٌ عظيم قد مات. أخرجه مسلم[3].

وقال ابن لَهِيعة، عن أبي الأسود، عن عُرْوَة، قال: فلما نزل رسولُ الله ﷺ من طريق عُمان سَرَّحوا ظَهْرَهم، وأخذتهم ريحٌ شديدة، حتى أشفق النّاس منها، وقيل: يا رسول الله ما شأن هذه الريح؟ فقال: مات اليوم منافقٌ عظيمُ النِّفاق، ولذلك عصفت الريحُ وليس عليكم منها بأس إنْ شاء الله، وذلك في قصّة بني المُصْطَلِق.

وقال يونس، عن ابن إسحاق[4]، عن شيوخه الذين روى عنهم قصّة بني المُصْطَلِق، قالوا: فانصرف رسول الله ﷺ، حتى إذا كان ببقعاء من أرض الحجاز دون البقيع هبّت ريحٌ شديدة فخافها النّاس. فقال رسول الله ﷺ: لا تخافوا فإنّها هبَّتْ لموت عظيمٍ من عُظماء الكُفْر. فوجدوا رِفاعةَ بنَ زيد بن التّابوت قد ماتَ يومئذٍ، وكان من بني قَيْنُقَاع، وكان قد أظهر الإسلامَ وكان كهفاً للمنافقين.

---

(١) البخاري ٦/ ١٨٩.
(٢) البخاري ٢/ ١٩٢.
(٣) مسلم ٨/ ١٢٤، وانظر المسند الجامع (٢٨١٨) و(٢٩٤٦).
(٤) ابن هشام ٢/ ٢٩٢.

وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتَادَة، قال: لما قدِم النّبيّ ﷺ المدينة من بني المُصْطَلِق، أتاه عبدُالله بن عبدالله بن أُبَيّ، فقال: يا رسول الله بلغني أنّك تريد قتْلَ أبي، فإنْ كنتَ فاعلاً فمرني به فأنا أحمِل إليك رأسَه فَوَالله لقد علمتْ الخزرجُ ما كان بها رجلٌ أبَرَّ بوالده منّي، ولكنّي أخشى أن تأمر به رجلاً مسلماً فيقتله، فلا تَدَعُني نفسي أنْ أنظر إلى قاتل عبدالله يمشي في الأرض حيّاً حتى أقتله، فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النّار. فقال النّبيّ ﷺ: بل نُحْسِنُ صُحْبَتَه ونترفّق به ما صَحِبَنا[1]، والله أعلم.

حديث[2] الإفك

«وكان في هذه الغزوة»

قال سليمان بن حرب: حدثنا حمّاد بن زيد، عن مَعْمَر، والنُّعمان بن راشد، عن الزُّهْري، عن عُرْوة، عن عائشة، أنّ النّبيّ ﷺ كان إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه. قالت: فأقْرَعَ بيننا في غَزَاة المُرَيْسِيع، فخرج سَهْمي، فَهَلَكَ فِيَّ مَنْ هَلَك.

وكذلك قال ابن إسحاق[3]، والواقديّ[4] وغيرهما: أنَّ حديثَ الإفْكِ في غزوة المُرَيْسِيع.

ورُوي عن عبّاد بن عبدالله، قال: قلت يا أمّاه حَدِّثيني حديثَك في غزوة المُرَيْسِيع.

قرأتُ على أبي محمد عبدالخالق بن عبدالسلام، ببَعْلَبَكّ، قال:

---

(١) ابن هشام ٢/ ٢٩٢-٢٩٣.
(٢) في نسخة (ع): «قصة».
(٣) ابن هشام ٢/ ٢٩٧.
(٤) المغازي ١/ ٤٠٤.

أخبرنا عبدالرحمن بن إبراهيم، قال: أخبرنا أبو الحسين عبدالحقّ اليُوسفي، قال: أخبرنا أبو سعد بن خُشَيْش، قال: أخبرنا أبو عليّ الحسن بن أحمد، قال: أخبرنا ميمون بن إسحاق، قال: حدثنا أحمد ابن عبدالجبّار، قال: حدثنا يونس بن بُكَيْر، عن هشام بن عُرْوة، عن أبيه، عن عائشة، قالت: لقد تُحُدِّثَ بأمري في الإفْكِ واستُفيضَ فيه وما أشعر. وجاء رسولُ الله ﷺ ومعه أُناسٌ من أصحابه، فسألوا جاريةً لي سوداء كانت تخدمني، فقالوا: أخبرينا ما عِلْمُك بعائشة؟ فقالت: والله ما أعلمُ منها شيئاً أعْيَب من أنّها ترقدُ ضَحىً حتى إنَّ الدّاجنَ[1] داجنَ أهلِ البيت تَأكل خميرَها. فأداروها وسألوها حتى فطِنَتْ، فقالت: سبحان الله، والذي نفسي بيده ما أعلمُ على عائشةَ إلاّ ما يعلم الصّائغ على تِبْر الذَّهَبِ الأحمر. قالت: فكان هذا وما شَعَرْت.

ثم قام رسولُ الله ﷺ خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهْلُهُ، ثم قال: أمّا بعدُ، فأشِيروا عليَّ في أُناسٍ أبَنُوا[2] أهلي، وايْمُ الله إنْ علمت على أهلي من سوءٍ قطّ، وأبَنُوهم بِمَنْ واللهِ إنْ علمتُ عليه سوء قطّ، ولا دَخَلَ على أهلي إلاّ وأنا شاهدٌ، ولا غبتُ في سَفَرٍ إلاّ غابَ معي. فقال سعد بن مُعاذ: أرى يا رسولَ الله أنْ تضرِبَ أعناقهم. فقال رجلٌ من الخَزْرَج ـ وكانت أمُّ حسّان من رَهْطِه، وكان حسّان من رَهطه ـ: واللهِ ما صَدَقْتَ، ولو كان من الأوس ما أشَرْتَ بهذا. فكاد يكونُ بين الأوس والخَزْرَج شَرٌّ في المسجد، ولا علِمْتُ بشيءٍ منه، ولا ذكره لي ذاكر، حتى أمسيتُ من ذلك اليوم فخرجت في نِسْوةٍ لحاجتنا، وخَرَجَتْ معنا أمّ مِسْطَح ـ بنت خالة أبي بكر ـ فإنّا لَنَمْشِي ونحن عامدون لحاجتنا، عَثَرَتْ أمُّ مِسْطَح فقالت: تَعِسَ مِسْطَح. فقلت: أيْ أُمْ،

---

(١) أي: الشاة التي تألف البيوت ولا تخرج إلى المرعى.

(٢) أي: اتَّهموا.

أتَسُبِّينَ ابنَكِ؟ فلم تُراجِعْني. فعادت ثم عثرت، فقالت: تَعِسَ مِسْطَح. فقلت: أيْ أُمْ أتَسُبّين ابنَك صاحبَ رسول الله ﷺ؟ فلم تراجعني. ثم عَثَرَتْ الثالثَة، فقالت: تعِسَ مِسْطَح. فقلت: أيْ أُمْ، أتَسُبّين ابنَك صاحبَ رسولِ الله ﷺ؟ فقالت: والله ما أسبُّه إلاّ من أجلك وفيك. فقلت: وفي أيّ شأني؟ قالت: وما علمتِ بما كان؟ فقلت: لا، ومَا الذي كان؟ قالت: أشهد أنّكِ مبرَّأةٌ ممّا قيلَ فيكِ. ثم بَقَرَتْ ليَ الحديثَ، فلأكرُّ راجعةً إلى البيت ما أجد ممّا خرجت له قليلاً ولا كثيراً. وركبتني الحُمَّى فَحُمِمْتُ. فدخل عليَّ رسول الله ﷺ فسألني عن شأني، فقلت: أجدُني موعوكة، إئذن لي أذهب إلى أبَوَيّ. فأذِن لي، وأرسل معي الغلام، فقال: امشِ معها. فجئت فوجدتُ أمّي في البيت الأسفل، ووجدت أبي يصلّي في العُلُوّ، فقلت لها: أي أمَه، ما الذي سمعتِ؟ فإذا هي لم ينزل بها من حيث نزل منّي، فقالت: أيْ بُنَيّة وما عليك، فما من امرأةٍ لها ضرائرُ تكون جميلةً يحبّها زوجُها إلاّ وهي يقال لها بعضُ ذلك. فقلت: وقد سمعه أبي؟ فقالت: نعم، فقلت: وسمعه رسولُ الله ﷺ؟ فقالت: ورسولُ الله ﷺ. فبكيت، فسمع أبي البكاءَ، فقال: ما شأنُها؟ فقالت: سمعت الذي تُحُدِّثَ به. ففاضت عيناهُ يبكي، فقال: أيْ بُنَيّة، ارجعي إلى بيتك، فرجعتُ وأصبح أبواي عندي، حتى إذا صُلِّيْتِ العصر دخل رسولُ الله ﷺ وأنا بين أبَوَيَّ، أحدهما عن يميني والآخر عن شمالي، فحمدَ الله وأثنى عليه بما هو أهلُه، ثم قال: أما بعد يا عائشة إنْ كنتِ ظلمتِ أو أخطاتِ أو أسأتِ فتوبي وراجعي أمرَ الله واستغفري، فوعظني، وبالبابِ امرأةٌ من الأنصار قد سلّمت، فهي جالسةٌ ببابِ البيت في الحجْرة، وأنا أقول: ألا تَسْتَحيي أنْ تذكرَ هذا، والمرأةُ تسمع، حتى إذا قضى كلامَه قلتُ لأبي وغَمَزْتُه: ألا تكلّمه؟ فقال: وما أقولُ له؟ والتفتُّ إلى أمي فقلتُ: ألا تُكلّمينه؟ فقالت: وماذا

أقولُ له؟ فحمدتُ الله وأثنيتُ عليه بما هو أهله ثم قلت: أما بعد فَوَالله لئنْ قلتُ لكم أنْ قد فعلتُ والله يشهدُ أنّي لَبَريئةٌ ما فعلت لتقولُنَّ قد باءت به على نفسها واعترفتْ به، ولئِنْ قلتُ لم أفعلْ والله يعلمُ أنّي لَصَادقةٌ ما أنتم بمُصدِّقيَّ. لقد دخل هذا في أنفسكم واستفاض فيكم، وما أجدُ لي ولكم مثلاً إلاّ قولَ أبي يوسف العبد الصالح؛ وما أعرف يومئذٍ اسمَه: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يوسف].

ونزل الوحيُ ساعةَ قضيتُ كلامي، فَعَرَفْتُ والله البِشْرَ في وجهِ رسولِ الله ﷺ قبل أنْ يتكلَّمَ. فمسح جبهته وجبينه ثم قال: أبشِري يا عائشة، فقد أنزل الله عُذْرَك. وتلا القرآن. فكنت أشدّ ما كنت غضباً، فقال لي أبواي: قومي إلى رسولِ الله ﷺ. فقلتُ: واللهِ لا أقومُ إليه ولا أحمده ولا إيّاكما ولكنّي أحمدُ اللهَ الذي بَرَّأني. لقد سمعتم فما أنكرتم ولا جادلتم ولا خاصمتم.

فقال الرجل الذي قيل له ما قيل، حين بلغه نزولُ العُذْر: سبحانَ الله، فَوَالذي نفسي بيده ما كشفتُ قطّ كنف أنثى. وكان مِسْطَح يتيماً في حِجْر أبي بكر ينفق عليه، فحلفَ لا ينفع مِسْطَحاً بنافعةٍ أبداً. فأنزل الله ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ﴾ إلى قوله ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾ [النور]. فقال أبو بكر: بلى والله يا ربّ، إنّي أحبّ أن تغفر لي وفاضت عيناه فبكى، رضي الله عنه.

وهذا عالٍ حَسَن الإسناد، أخرجه البخاري تعليقاً؛ فقال: وقال أبو أسامة، عن هشام بن عُرْوة. فذكره[1].

وقال اللَّيْث ـ واللفظ له ـ وابن المبارك، عن يونس بن يزيد، عن ابن شهاب: أخبرني عُرْوة، وابن المسيّب، وعلقمة بن وقّاص،

---

(١) البخاري ٦/ ١٣٤-١٣٦.

وعُبَيْدالله بن عبدالله، عن حديث عائشة، حين قال لها أهلُ الإفْك ما قالوا، فبرّأها الله؛ وكلٌّ حدّثني بطائفةٍ من الحديث، وبعضُ حديثِهم يصدِّق بعضاً، وإنْ كان بعضُهم أوعى له من بعض. قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج أقْرَع بين نسائه، فأيَّتُهُنَّ خرج سهمُها خرج بها معه. فأقرع بيننا في غزوةٍ غزاها، فخرج سهمي، فخرجتُ معه بعدما نزل الحجاب، وأنا أُحْمَل في هَوْدَجي وأُنْزَلُ فيه. فسِرْنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك، وقفل ودَنَوْها من المدينة، آذن ليلةً بالرحيل، فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيتُ شأني أقبلت إلى رَحْلي، فإذا عِقْدٌ لي من جَزْع ظَفار قد انقطع، فالتمستُه، وحبسني ابتغاؤُه، وأقبلَ الرَّهْط الذين كانوا يَرْحلونَ بي واحتملوا هودجي، فَرَحَلُوه على بعيري الذي كنتُ ركِبتُ. وهم يحسبون أنّي فيه. وكان النّساءُ إذْ ذاك خِفافاً لم يُثقلهنَّ اللَّحْمُ، إنّما يأكلن العُلْقَةَ[1] من الطعام، فلم يستنكروا خِفَّةَ الهَوْدَج حين رفعوه، وكنتُ جارية حديثة السِّنّ، فبعثوا الجملَ وساروا. فوجدتُ عِقْدي بعدما استمرَّ الجيش، فجئتُ منازلهم وليس بها داعٍ ولا مُجيب. فأمَمْتُ منزلي الذي كنتُ فيه، وظننت أنّهم سيفقدونني فيرجعون إليّ، فبينا أنا جالسةٌ غَلَبَتْني عيني فنمت. وكان صَفْوان بن المُعَطَّل السُّلَميّ ثم الذّكْواني من وراء الجيش. فأدلج فأصبح عند منزلي، فرأى سوادَ إنسانٍ نائم، فأتاني فعرفني حين رآني، وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقظتُ باسترجاعه حين عرفت، فخمَّرت وجهي بجلبابي، والله ما كلّمني كلمةً ولا سمعت منه كلمةً غيرَ استرجاعه. فأناخ راحلته فوطِيء على يديها فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيشَ بعدما نزلوا مُوغِرين في نحر الظَّهيرة، فَهَلَكَ من هَلَك. وكان الذي تولّى الإفْك عبدُالله بن أُبَيّ بن

(١) أي: ما يُتَبَلَّغ به من الطعام.

سَلُول. فقدِمْنا المدينةَ، فاشتكيتُ حين قدِمتُ شهراً، والنّاس يُفِيضون في قولِ أهلِ الإفْك، ولا أشعر بشيءٍ من ذلك. وهو يَريبني في وَجَعي أنّي لا أعرف من رسول الله ﷺ اللُّطْف الذي كنت أرى منه حين أشتكي. إنّما يدخل عليَّ فيُسَلّم ثم يقول: كيف تيكم؟ ثم ينصرف. فذلك الذي يَريبني ولا أشعر بالشّرّ، حتى خرجت يوماً بعدما نَقَهْتُ. فخرجتُ مع أمّ مِسْطَح قِبَل المَنَاصِع؛ وهو مُتَبرَّزُنا؛ وكنّا لا نخرج إلاّ ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن نتّخذ الكُنُفَ قريباً من بيوتنا، وأمْرُنا أمرُ العرب الأُوَل في التبرُّزِ قِبَلِ الغائط، وكنّا نتأذّى بالكُنُف نتَّخِذُها عند بيوتنا. فانطلقتُ أنا وأمُّ مِسْطَح وهي ابنة أبي رُهْم بن عبد مناف وأمها ابنة صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق وابنها مسطح بن أثاثة بن المطلب، فأقبلت أنا وأم مسطح قِبَل بيتي، قد فَرَغْنا من شأننا، فعَثَرَت أمّ مِسْطَح في مِرْطِها فقالت: تَعِسَ مِسْطَح. فقلتُ لها: بئس ما قلتِ، أتسُبّين رجلاً شهِد بدراً؟ قالت: أيْ هَنْتَاهْ[1]، أوَ لم تسمعي ما قال؟ قلتُ: وماذا؟ فأخبرتني بقولِ أهلِ الإفْك. فازددْتُ مَرَضاً على مرضي. فلما رجعتُ إلى بيتي ودخل عليَّ رسولُ الله ﷺ فسلّم ثم قال: كيف تِيْكُم؟ فقلت: أتأذن لي أنْ آتي أبَوَيَّ؟ وأنا أريدُ أنْ أستيقنَ الخبرَ من قِبَلِهما، فأذِن لي، فجئت أبَوَيَّ فقلت لأمّي: يا أمَّتَاه ما يتحدّث النّاس؟ قالت: يا بُنَيّة هوِّني عليكِ، فَوَالله لَقَلَّما كانت امرأة قطّ وضيئةً عند رجلٍ يحبّها لها ضَرائر، إلاّ كَثَّرْن عليها. فقلت: سبحانَ الله، ولقد تحدّث النّاس بهذا؟ فبكيت الليلة حتى لا يرقأ لي دمْعٌ ولا أكْتَحِل بنَوْم. ثم أصبحتُ أبكي.

فدعا رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب وأُسامة بنَ زيد ـ حين اسْتَلْبَثَ الوحيُ ـ يستأمرُهُما في فراقِ أهله. فأمّا أسامةُ فأشار على رسولِ

(١) كلمة تقال بمعنى: يا هذه.

الله ﷺ بالذي يعلمُ من براءةِ أهله، وبالذي يعلمُ لهم في نفسه من الوُدِّ، فقال أُسامة: يا رسولَ الله أهْلك وَلا نعلمُ إلاّ خيراً. وأمّا عليٌّ فقال: يا رسول الله لم يُضَيِّقِ اللهُ عليك، والنّساءُ سِواها كثيرٌ، واسألِ الجاريةَ تَصْدُقْك، قالت: فدعا رسولُ الله ﷺ بَرِيرَةَ فقال: أي بَرِيرةُ هل رأيت من شيءٍ يَريبُكِ؟ قالت: لا والذي بَعَثَكَ بالحقِّ إنْ رأيتُ عليها أمراً أغْمِصُهُ[1] عليها أكثر من أنّها جارية حديثة السّنّ تنام عن عجين أهلِها فتأتي الدّاجِنُ فتأكُلُه. فقام رسول الله ﷺ فاستعذر من عبدالله بن أُبَيّ بن سَلُول، فقال وهو على المنبر: يا معشرَ المسلمين مَنْ يَعْذُرني من رجلٍ قد بلغنا أذاه في أهل بيتي، فَوَالله ما علمتُ في أهلي إلاّ خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علِمْتُ عليه إلاّ خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلاّ معي. فقام سعد بن مُعاذ، فقال: يا رسولَ الله أنا أعذرك منه، إنْ كان من الأوسِ ضربتُ عنقه، وإنْ كان من إخواننا الخَزْرج أمرتَنا ففعلنا أمرَك. فقام سعد بن عُبَادة وهو سيّد الخزرج ـ وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ـ ولكن احتملته الحَمِيَّةُ، فقال: كذَبْتَ لَعَمْرُ الله لا تقتُلُه ولا تَقدِرُ على قتله. فقام أُسَيْد بن حُضَيْر، وهو ابنُ عمِّ سعدِ بن مُعاذ، فقال: كذبتَ لَعَمْرُ الله لنقتُلَنَّه، فإنّك منافقٌ تجادلُ عن المنافقين، فتثاور الحيّان: الأوس والخَزْرَج، حتى هَمُّوا أنْ يقتتلوا، ورسولُ الله ﷺ قائم على المنبر، فلم يزل يُخَفِّضُهُم حتى سكتوا وسكت.

قالت: فبكيتُ يومي ذلك وليلتي لا يرقأ لي دمعٌ ولا أكْتَحِلُ بنوم. فأصبح أبواي عندي، وقد بكيتُ ليلتين ويوماً لا أكتحل بنوم ولا يرقأ لي دمعٌ، حتى يظنان أنّ البكاء فالِقٌ كَبِدي. فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي، استأذنت عليَّ امرأةٌ من الأنصار فجلستْ تبكي معي. فبينا نحنُ على ذلك دخل علينا رسول الله ﷺ فسلّم ثم جلس، ولم يجلس عندي

(١) أي: أعيبُه.

منذ قيل لي ما قيلَ وقد لبِث شهراً لا يُوحَى إليه في شأني شيء. قالت: فتشهّد حين جلس ثم قال: أمّا بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنكِ كذا وكذا، فإنْ كنتِ بريئةً فسيبرّئُكِ الله، وإنْ كنتِ ألْمَمْتِ بذنبٍ فاستغفري الله وتوبي إليه فإنَّ العبدَ إذا اعترف بذنبه ثم تابَ تابَ اللهُ عليه. قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالَتَه، قَلَصَ دمعي حتى ما أُحِسُّ منه قطرةً. فقلتُ لأبي: أجِبْ رسولَ الله فيما قال. قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ. فقلت لأمّي: أجيبي رسولَ الله. قالت: ماأدري ما أقولُ له. فقلتُ وأنا يومئذٍ حديثة السّنّ لا أقرأُ كثيراً من القرآن: إنّي والله لقد علمتُ لقد سمعتُ هذا الحديثَ حتى استقرَّ في أنفسكم وصدَّقتم به، فلئن قلتُ لكم إنّي بريئةٌ، والله يعلمُ أنّي بريئة، لا تصدّقوني بذلك، ولئن اعترفتُ لكم بأمرٍ والله يعلم أنّي بريئة لتصدّقُنّي، والله ما أجدُ لكم مثلاً إلاّ قولَ أبي يوسف ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يوسف] ثم تحوَّلْتُ فاضطّجعتُ على فراشي، وَأنا أعلم أنّي بريئة وأنّ الله يبرّئني ببراءتي. ولكنْ والله ما كنت أظنُّ أنّ الله مُنزلٌ في شأني وحْياً يُتْلَى، ولَشَأني كان في نفسي أحقر من أنْ يتكلَّمَ الله فيَّ بأمرٍ يُتْلَى، ولكنْ كنتُ أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النّوم رؤيا يبرِّئُني اللهُ بها. قالت: فَوَالله ما قام رسولُ الله ﷺ ولا خرج أحدٌ من أهلِ البيت حتى أُنزل عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البُرَحاء، حتى إنّه لَيَتَحَدَّر منه مثلُ الجُمان من العَرَق، وهو في يومٍ شاتٍ من ثِقَلِ القولِ الذي ينزل عليه. فلما سُرِّيَ عنه وهو يضحكُ كان أول كلمةٍ تكلّم بها: يا عائشة أمَا واللهِ لقد بَرَّأكِ اللهُ. فقالت أمّي: قومي إليه. فقلت: والله لأ أقومُ إليه، ولا أحمدُ إلا الله. وأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ﴿١١﴾﴾ [النور] العَشْر الآيات كلّها.

فلما أنزل الله هذا في براءتي قال أبو بكر، وكان ينفق على مِسْطَح

لقرابته وفَقْره: والله لا أنفق على مِسْطَح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة. فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ ﴿٢٢﴾﴾ [النور] قال أبو بكر: بلى والله إنّي لأُحِبُّ أنْ يغفرَ اللهُ لي. فَرَجَعَ إلى مِسْطَح النَّفقةَ التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً. قالت: وكان رسول الله ﷺ يسأل زينبَ بنتَ جحشٍ عن أمري، فقالت: أحْمي سمعي وبَصَري ما علمتُ إلاّ خيراً، وهي التي كانت تُساميني[1] من أزواج النّبيِّ ﷺ، فعصمها الله بالورع، وطفِقَتْ أختُها حَمْنَةُ تحارب لها فَهَلَكَتْ فيمن هَلَكَ من أصحاب الإفْك. مُتَّفقٌ عليه من حديث يونس الأيْلي[2].

وقال أبو مَعْشَر: حدّثني أفلح بن عبدالله بن المغيرة، عن الزُّهْري، قال: كنت عند الوليد بن عبدالملك فذكر الحديث بطوله عن الأربعة عن عائشة، فقال الوليد: وما ذاك؟ قال: إنّ رسول الله ﷺ غزا غزوة بني المُصْطَلِق فَسَاهَمَ بين نسائه، فخرج سهمي وسهمُ أمّ سَلَمَة.

وقال عبدالرّزّاق: أخبرنا مَعْمَر، عن الزُّهْري، قال: كنتُ عند الوليد بن عبدالملك فقال: الذي تولّى كِبْرَه منهم عليٌّ. فقلتُ: لا. حدّثني سعيد، وعُرْوَة، وعَلْقمة، وعُبَيْدُالله كلّهم سمع عائشة تقول: الذي تولّى كِبْرَه عبدالله بن أُبَيّ. فقال لي: فما كان جُرْمُه؟ قلت: سبحان الله، [أخبرني رجلان][3] من قومك: أبو سَلَمَةَ بنُ عبدالرحمن، وأبو

---

(١) أي: تضاهيني.

(٢) البخاري ٣/ ٢١٩ و٢٢٧ و٤/ ٤٠ و٥/ ١١٠ و١٤٨ و٦/ ٩٥ و٩٦ و١٢٧ و١٧٢ و٨/ ١١٦٨ و١٧٢ و٩/ ١٣٩ و١٧٦ و١٩٣، ومسلم ٨/ ١١٢و١١٨، وانظر المسند الجامع حديث (١٧٢٥٦).

(٣) ما بين المعقوفتين إضافة من البخاري.

بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام أنّهما سمعا عائشة تقول: كان مسيئاً[1] في أمري. أخرجه البخاري[2].

وقال يونس بن بُكَيْر، عن ابن إسحاق[3]: حدّثني عبدالله بن أبي بكر بن حزم، عن عمرة، عن عائشة، قالت: لما تلا رسول الله ﷺ القصَّةَ التي نزل بها عُذْرِي على النّاس، نزل فأمر برجُلَين وامراةٍ ممّن كان تكلّم بالفاحشة في عائشة فجُلدوا الحدّ. قال: وكان رماها ابنُ أُبَيّ، ومِسْطَح، وحسّان، وحَمْنَة بنت جحش.

وقال شُعبة، عن سليمان، عن أبي الضُّحَى، عن مسروق، قال: دخل حسّان بن ثابت على عائشة رضي الله عنها فشبَّب بأبيات له:

حَصَانٌ رَزَانٌ ما تُزَنُّ بريْبَةٍ وتُصبحُ غَرْثَى من لحُومِ الغوافِلِ

قالت: لستَ كَذَاك. قلت: تَدَعِين مثلَ هذا يدخل عليكِ وقد أنزل الله عَزَّ وجلَّ ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [النور]، قالت: وأيُّ عذابٍ اشدُّ من العَمَى؟ وقالت: كان يردّ عن النّبيّ ﷺ. مُتّفقٌ عليه[4].

وقال يونس، عن ابن إسحاق[5]: حدّثني محمد بن إبراهيم التَّيْمي، قال: وكان صَفْوان بن المُعَطَّل قد كثَّر عليه حسّان في شأن عائشة، وقال يعرِّض به:

أمْسَى الجلابيبُ قد عَزُّوا وقد كثُروا وابنُ الفُرَيْعةِ أمسى بيضة البلدِ

فاعترضه صَفْوان ليلةً وهو آتٍ من عند أخوالِه بني ساعدة، فضربه

---

(١) كتب على هامش النسخة: «خ: مسلماً» أي في نسخة أخرى.
(٢) البخاري ٥/ ١٥٤.
(٣) ابن هشام ٢/ ٣٠٢.
(٤) البخاري ٥/ ١٥٥، ومسلم ٧/ ١٦٣و١٦٤.
(٥) ابن هشام ٢/ ٣٠٤.

بالسيفِ على رأسه، فيعدو عليه ثابتُ بنُ قيس، فجمع يديه إلى عنقه بحَبْلٍ أسود وقاده إلى دارِ بني حارثة، فلقِيَه عبدُالله بنُ رَوَاحة، فقال: ما هذا؟ فقال: ما اعجَبَكَ! عدا على حسّان بالسَّيْف، فوالله ما أراه إلاّ قد قتله. فقال: هل علم رسولُ الله ﷺ بما صنعتَ به؟ فقال: لا. فقال: والله لقد اجترأت، خَلِّ سبيلَه فسنغدو على رسول الله ﷺ فنعلمه أمره فخلِّ سبيله. فلمّا أصبحوا غَدَوْا على النّبيِّ ﷺ فذكروا له ذلك فقال: أين ابن المُعَطَّل؟ فقام إليه، فقال: ها أنذا يا رسولَ الله، فقال: ما دعاكَ إلى ما صنعتَ؟ قال: آذاني وكثَّر عليَّ ولم يرض حتى عَرَّضَ بي في الهجاء، فاحتملني الغضبُ، وها أنذا، فما كان عليَّ من حقٍّ فخُذْني به. فقال رسولُ الله ﷺ: ادعوا لي حسّان، فأُتي به؛ فقال: يا حسّان: أتشوَّهت[1] على قومي أنْ هداهم اللهُ للإسلام، يقول: تنفّستَ عليهم يا حسّان، أحسِن فيما أصابك. فقال: هي لكَ يا رسولَ الله. فأعطاه رسولُ الله ﷺ سِيرين القِبْطِيَّة. فولدت له عبدالرحمن، وأعطاه أرضاً كانت لأبي طَلْحة[2] تصدّق بها على رسول الله ﷺ[3].

وحدّثني يعقوب بن عُتبةَ، أنّ صَفْوان بن المُعَطَّل قال حين ضرب حسان:

تَلَقَّ ذُبابَ السّيفِ عنك فإنني غلامٌ إذا هُوجِيتُ لَستُ بشاعر

وقال حسّان لعائشة رضي الله عنها[4]:

---

(١) أي: استكبرت أو استعظمت.

(٢) كتب على هامش نسخة البشتكي بخطه ـ فكّأنه نقلها عن المؤلف ـ: «أبو طلحة جعل أرضه على مصالح المسلمين وفَوَّض أمرها إلى رسول الله، وإلا فالصدقة محرمة عليه».

(٣) ابن هشام ٢/ ٣٠٤-٣٠٥.

(٤) ابن هشام ٢/ ٣٠٦.

رأيتُكِ ولْيَغْفِرْ لكِ الله، حُرَّةً ... من المُحْصَناتِ غيرِ ذاتِ غَوَائلِ
حَصَانٌ رَزَانٌ ما تُزَنُّ بريبةٍ ... وتُصْبحُ غَرْثَى من لُحُوم الغَوافِلِ
وإنّ الذي قد قِيل ليس بلائقٍ ... بك الدّهرَ بل قِيلُ امرىء مُتَماحِلِ
فإنْ كنتُ أهْجُوكم كما بلَّغُوكم ... فلا رَفَعَتْ سَوْطِي إليَّ أناملي
فكيف ووُدّي ما حَييتُ ونُصْرَتي ... لآلِ رسولِ الله زَينِ المَحافِلِ
وإنّ لهم عزّاً يُرَى النّاسُ دونَه ... قِصاراً، وطال العزّ كلّ التَّطاوُلِ

منها:

عقيلةُ حَيٍّ من لُؤَيّ بنِ غالبٍ ... كِرَام المساعي مَجْدُهُم غير زائلِ
مهذَّبَةٌ قد طيَّبَ الله خِيمَها ... وطَهَّرها من كلّ سوءٍ وباطلِ

استُشهد صَفْوان في وقعة أرْمِينية سنة تسع عشرة. قاله ابن إسحاق.

وعن عائشة قالت: لقد سألوا عن ابن المُعَطَّل فوجدوه حَصُوراً ما يأتي النِّساء. ثم قُتِل بعد ذلك شهيداً.

غزوَةُ الخَنْدَق

قال الواقديّ[1]: وَهي غزوة الأحزاب، وكانت في ذي القِعْدَة.

قالوا: لمّا أجلى رسولُ الله ﷺ بني النَّضير ساروا إلى خَيْبَر، وخرج نفرٌ من وجوههم إلى مكة فألَّبُوا قُرَيْشاً ودعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ وعاهدوهم على قتاله، وواعدوهم لذلك وقْتاً. ثم أتوا غَطفانَ وسُلَيْما فدعوهم إلى ذلك، فوافقوهم.

وتجهَّزَتْ قُرَيْش وجمعوا عبيدهم وأتباعهم، فكانوا في أربعة آلاف، وقادوا معهم نحو ثلاث مئة فَرَسٍ من سوى الإبل. وخرجوا وعليهم أبو

(١) المغازي ٢/ ٤٤٠.

سُفيان بن حرب، فوافتهم بنو سُلَيْم بمَرّ الظَّهْران، وهم سبع مئة. وتلقَّتْهم بنو أسد يقودهم طليحة بن خُوَيْلد الأسَدي، وخرجت فَزَارة وهم في ألف بعيرٍ يقودهم عُيَيْنَة بن حصْن، وخرجتْ أشْجَعُ وهم أربع مئة يقودهم مسعود بن رُحيلة[1]. وخرجت بنو مُرَّة وهم أربع مئة يقودهم الحارث بن عَوْف. وقيل: إنّه رجع ببني مُرّة، والأوّل أثبت، فكان جميع الأحزاب عشرة آلاف، وأمْرُ الكّل إلى أبي سُفيان. وكان المسلمون في ثلاثة آلاف. هذا كلام الواقدي[2].

وأمّا ابن إسحاق فقال: كانت غزوة الخندق في شوّال[3].

قال: وكان من حديثها أنّ سَلاّم بن أبي الحُقَيْق، وحُيَيّ بنَ أخْطَب، وكِنَانة بنَ الرَّبيع، وهَوْذَة، في نفرٍ من بني النّضير ونفر من بني وائل، وهم الذين حزَّبوا الأحزابَ على رسول الله ﷺ قدِموا مكّةَ فدعوا قريشاً إلى القتال، وقالوا: إنّا نكون معكم حتى نستأصل محمداً. فقالت قريش: يا معشر يهود، إنّكم أهلُ كتابٍ وعِلْمٍ بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد. أفَدِينُنا خيرٌ أم دينُه؟ قالوا: بل دينكم خيرٌ من دينه وأنتم أولى بالحقّ وفيهم نزل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾ [النساء] الآيات. فلما قالوا ذلك لقريش سَرَّهم ونشطوا إلى الحرب واتَّعدوا لهم. ثم خرج أولئك النّفر اليهود حتى جاؤوا غَطفان، فدعوهم فوافقوهم.

فخرجت قريش، وخرجت غَطفان وقائدهم عُيَيْنَة في بني فَزَارة،

---

(١) جَوّد البشتكي ضبطها عن المؤلف، فأثبت نقطة الزاي ووضع حاءً مهملة تحت الحاء المهملة علامة لإهمالها.

(٢) المغازي ٢/ ٤٤٠-٤٤٤.

(٣) ابن هشام ٢/ ٢١٤.

والحارث بن عَوْف المُرِّي في قومه، ومسعود بن زُحلية[1] فيمن تابعه من قومه أشْجَع. فلما سمع بهم النّبيّ ﷺ حفر الخندق على المدينة وعمل فيه بيده، وأبطأ عن المسلمين في عمله رجالٌ منافقون، وعمل المسلمون فيه حتى أحكموه[2]. وكان في حَفْرِه أحاديث بلغتني، منها: بلغني أنّ جابراً كان يحدّث أنّهم اشتدّت عليهم كُدْية فشكوها إلى رسولِ الله ﷺ، فدعا بإناءٍ من ماءٍ فتَفَلَ فيه، ثم دعا بما شاء الله، ثم نضح الماءَ على الكُدْية حتى عادت كثيباً[3].

وحدّثني سعيد بن ميناء، عن جابر بن عبدالله، قال: عملنا مع رسول الله ﷺ في الخندق، فكانت عندي شُوَيْهة، فقلت: والله لو صنعناها لرسول الله ﷺ، فأمرتُ امرأتي فطحنتْ لنا شيئاً من شعير، فصنعتْ لنا منه خُبزاً، وذبحتُ تلك الشاة فشَوَيْناها، فلما أمسينا وأراد رسولُ الله ﷺ الانصراف، وكنّا نعمل في الخندق نهاراً فإذا أمسينا رجعنا إلى أهالينا، فقلت: يا رسولَ الله إنّي قد صنعتُ كذا وكذا، وأحبُّ أنْ تنصرفَ معي، وإنّما أريد أن ينصرف معي وحده. فلما قلت له ذلك، قال: نعم. ثم أمر صارخاً فصرخ أنِ انصرفوا مع رسولِ الله ﷺ إلى بيتِ جابر. فقلتُ: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، فأقبل وأقبل النّاسُ معه، فجلس وأخرجناها إليه، فَبَرَّكَ وسمَّى، ثم أكل، وتواردها النّاسُ، كلّما فرغ قومٌ قاموا وجاء ناسٌ، حتى صدر أهلُ الخندق عنها[4].

وحدّثني سعيد بن ميناء أنّه حُدِّث أنّ ابنةً لبشير بن سعد قالت: دَعَتْني أمّي عَمْرَةُ بنتُ رَوَاحة فأعطتني حفنةً من تمر في ثوبي، ثم قالت:

---

(١) كُتب على هامش نسخة البشتكي: «في السيرة مسعر بن زحيلة».
(٢) ابن هشام ٢/ ٢١٦.
(٣) ابن هشام ٢/ ٢١٧.
(٤) ابن هشام ٢/ ٢١٨.

أي بُنَيّة اذهبي إلى أبيك وخالك عبدالله بغدائهما. فانطلقتُ بها فمررت برسول الله ﷺ وأنا ألتمس أبي وخالي، فقال: ما هذا معك؟ قلت: تمر بَعَثَتْ به أمي إلى أبي وخالي، قال: هاتيه. فَصَبَبْتُهُ في كَفَّيْ رسولِ الله ﷺ فملأتهما[1]، ثم أمر بثوبٍ فبُسِط، ثم دحا بالتمر عليه فتبدّد فوق الثوب، ثم قال لإنسانٍ عنده: اصرخ في أهل الخندق أنْ هَلُمُّوا إلى الغداء. فاجتمعوا فجعلوا يأكلون منه وجعل يزيد، حتى صَدَرَ أهلُ الخندق عنه وإنه لَيَسْقُط من أطراف الثوب[2].

وحدّثني مَنْ لا أتَّهمُ، عن أبي هُريرة، أنّه كان يقول حين فُتِحَت هذه الأمصار في زمان عمر وعثمان وما بعده: افتحوا ما بدا لكم، والذي نفسي بيده، أو نفس أبي هُريرة بيده، ما افتتحتم من مدينةٍ ولا تفتحونها إلى يوم القيامة إلاّ وقد أعطى الله محمداً ﷺ مفاتيحها قبل ذلك[3].

قال: وحُدِّثتُ عن سَلْمان الفارسيّ، قال: ضربت في ناحيةٍ من الخندق فغلُظَتْ عليّ، ورسولُ الله ﷺ قريبٌ منّي، فلما رآني أضرب نزل وأخذ المِعْوَلَ فضرب به ضربةً فلمعتْ تحت المِعْوَلِ بَرْقَةٌ، ثم ضرب أخرى فلمعت تحته أخرى، ثم ضرب الثالثة فلمعت أخرى. قلت: بأبي أنتَ وأمّي يا رسول الله ما هذا؟ قال: أوَ قد رأيتَ؟ قلت: نعم. قال: أمّا الأولى، فإنّ الله فتح عليَّ بها اليمن، وأمّا الثانية، فإنّ الله فتح عليّ بها الشامَ والمغرب، وأمّا الثالثة فإنّ الله فتح عليَّ بها المشرق[4].

---

(١) هكذا في النسخ، وفي سيرة ابن هشام: فما ملأتهما.
(٢) ابن هشام ٢/٢١٨.
(٣) ابن هشام ٢/٢١٩.
(٤) ابن هشام ٢/٢١٩.

قال ابن إسحاق[1] : ولما فرغ النّبيّ ﷺ من الخندق أقبلت قُرَيش حتى نزلت بمجتمع السُّيول من دومة[2] بين الجُرُف وزُغَابَة[3] في عشرة آلاف من أحابيشهم ومَن تبِعهم من بني كِنانة وأهل تِهامة وغَطفان، فنزلت غطفان ومَن تبعَهم من أهل نجد بذَنَب تَعْمر[4] إلى جانب أُحُد. وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سَلْع في ثلاثة آلاف، فعسكروا هنالك، والخندق بينه وبين القوم. فذهب حُيَيُّ بنُ أخطب إلى كعب بن أسد القُرظي صاحب عقد بني قُرَيْظة وعهدهم، وقد كان وادَعَ رسولَ الله ﷺ على قومه، فلما سمع كعبٌ بحُيَيّ أغلق دونه الحصْنَ فأبى أن يفتح له، فناداه: يا كعب افتحْ لي. قال: إنّك امرؤٌ مشؤوم، وإنّي قد عاهدت محمداً فلست بناقضٍ ما بيني وبينه، ولم أر منه إلاّ وفاءً وصِدْقاً. قال: ويَحْك افتحْ لي أكلّمك. قال: ما أنا بفاعل. قال: والله إنْ أغلقتَ دوني إلاّ عن جَشِيشَتِكَ[5] أنْ آكُلَ معكَ منها. فأحْفَظَه، ففتحَ له فقال: ويحكَ يا كعب، جئتك بعزِّ الدّهر وببحرٍ طامٍ، جئتك بقريش على قادتها وسَادتها حتى أنزلتُهم بمجتمع الأسيال من دُومة، وبغطَفان على قادتها وسَادَتها فأنزلتهم بذَنَب تعمر إلى جانب أُحُد، قد عاهدوني وعاقدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومَن معه. قال له كعب: جئتني والله بذُلّ الدَّهْرِ

---

(١) ابن هشام ٢/ ٢١٩.

(٢) في نسخة البشتكي: «دومة» وكتب على الهامش «بخطه رومة».

(٣) كتب على هامش الأصل: «زغابة بالزاي والغين المعجمتين مضموم، موضع قرب المدينة، وصححه بخطه فكتب رعايّة وهو خطأ».

(٤) كتب على هامش الأصل: «كتب المصنف بخطه نعمى في أصله، وكتب بإزائه نقمى وصحح عليه». ونَقَمى من أعراض المدنية (انظر معجم البلدان ١/ ٢٩٩).

(٥) طعام من حنطة تُطبخ مع لحم أو تمر.

وبجَهَام[1] قد هَراق ماءَهُ برعدٍ وبَرْقٍ ليس فيه شيء، يا حُيَيُّ فَدَعْنِي وما أنا عليه فإنّي لم أر من محمدٍ إلا صدْقاً ووفاءً. فلم يزل حُيَيّ بكعبٍ حتى سمح له بأنْ أعطاه عهداً لئن رجعتْ قُريش وغَطفان ولم يصيبوا محمداً أنْ أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك. فنقض كعب عهده وبَرِيء ممّا كان بينه وبين النّبيِّ ﷺ[2].

ولما انتهى الخبر إلى النّبيّ ﷺ بعث سعدَ بن مُعاذ، وسعدَ بنَ عُبادَة، سَيِّدا الأنصار، ومعهما عبدالله بن رَوَاحة وخَوّات بن جُبَيْر، فقال: انطلِقُوا حتى تنظروا أحَقٌّ ما بَلَغَنا عن هؤلاء؟ فإنْ كان حقاً فالْحَنُوا لي لحناً أعرفه، ولا تَفُتُّوا في أعضاد النّاس، وإنْ كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للنّاس. فخرجوا حتى أتَوْهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم، فشاتمهم سعد بن مُعاذ وشاتموه، وكان فيه حِدّةٌ، فقال له ابن عُبَادة: دع عنك مُشَاتَمَتهم، فما بيننا وبينهم أربى من المُشاتمة. ثم رجعوا إلى النّبيّ ﷺ فسلّموا عليه، وقالوا: عَضل والقارة، أي كَغَدْر عضل والقارة بأصحاب الرّجيع خُبَيْب وأصحابه. فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر! أبْشروا يا معشر المسلمين. فعظُم عند ذلك الخوف[3].

قال الله تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝١١﴾ [الأحزاب] الآيات.

وتكلّم المنافقون حتى قال مُعَتّب بن قُشَيْر أحدُ بني عَمْرو بن عَوْف: كان محمد يعِدُنا أن نأكل كنوزَ كِسْرى وقَيْصر وأحَدُنا اليومَ لا يأمن على

---

(١) الجهام: السحاب الرقيق الذي لا ماء فيه.
(٢) ابن هشام ٢/ ٢٢٠-٢٢١.
(٣) ابن هشام ٢/ ٢٢١-٢٢٢.

نفسه أن يذهب إلى الغائط. فأقام رسول الله ﷺ وأقام عليه المشركون بِضْعاً وعشرين ليلةً لم يكن بينهم حرب إلاّ الرَّمْيُ بالنَّبل والحصار[1].

ثم إنّ النّبيّ ﷺ بعث إلى عُيَيْنَة بن حِصْن وإلى الحارث بن عَوْف، فأعطاهما ثُلُثَ ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما، فجرى بينه وبينهما صلحٌ، حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصّلح، إلاّ المراوضة في ذلك.

فلما أراد رسولُ الله ﷺ أن يفعل، بعث إلى السَّعْدين فاستشارهما، فقالا: يارسول الله أمراً تحبّه فنصنعه، أم شيئاً أمركَ اللهُ به لا بُدَّ لنا منه، أم شيئاً تصنعه لنا؟ قال: بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلاّ لأنّي رأيت العربَ قد رمتكم عن قَوْس واحدة، فأردتُ أنْ أكسرَ عنكم من شوكتهم. فقال سعد بن مُعاذ: يا رسول الله، قد كنّا نحن وهؤلاء القوم على الشّرك ولا يطمعون أن يأكلوا منّا تمرةً إلاّ قِرَىً أو بيعاً، أفَحِين أكْرَمنا اللهُ بالإسلام وأعَزَّنَا بك نُعطيهم أموالنا؟ ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نُعطيهم إلاّ السَّيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم. قال: فأنتَ وذاك. فأخذ سعد الصحيفة فمحاها، ثم قال: ليجهدوا علينا[2].

وأقام رسولُ الله ﷺ والأحزاب، فلم يكن بينهم قتالٌ إلاّ فوارس من قُريش، منهم عَمْرو بن عبد وُدّ، وعِكْرِمة بن أبي جهل، وهُبَيْرَة بن أبي وهب، وضِرار بن الخطّاب، تلَّبسوا للقتال ثم خرجوا على خيلهم، حتى مرُّوا بمنازل بني كنانة، فقالوا: تهيَّؤوا للقتال يا بني كِنانة فستعلمون مَن الفُرسان اليوم، ثم أقبلوا تُعْنِقُ بهم خَيْلُهم حتى وقفوا على الخندق، فلما رأوه قالوا: والله إنّ هذه لمكِيدةٌ ما كانت العربُ تكِيدها، قال: فتيمَّموا مكاناً من الخندق ضَيِّقاً فضربوا خَيْلَهم، فاقتحمت منه بهم في

(١) ابن هشام ٢/ ٢٢٢.
(٢) ابن هشام ٢/ ٢٢٣.

السَّبخَة بين الخندق وسَلْع.

وخرج عليٌّ رضي الله عنه في نفرٍ من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثُّغرة، فأقبلت الفرسان تُعْنِق نحوهم، وكان عَمْرو بن عبد وُدّ قد قاتل يوم بدر حتى اثبتته الجراحة فلم يشهد يوم أُحُد، فلما كان يوم الخندق خرج مُعْلَماً ليُرى مكانه، فلما وقف هو وخيلُه، قال: مَنْ يبارزني؟ فبرز له عليّ رضي الله عنه، فقال: يا عَمْرو إنّك كنتَ عاهدتَ الله لا يدعوكَ رجلٌ من قريشٍ إلى إحدى خَلّتَين إلاّ أخذتهما منه. قال: له أجل. قال: فإنّي أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام. قال: لا حاجة لي بذلك. قال: فإنّي أدعوك إلى النّزال. قال له: لِمَ يا ابنَ أخي، فَوالله ما أحبّ أن أقتلك. قال عليٌّ كَرَّمَ اللهُ وجهه: لكّني والله أحبّ أن أقتلك. فحَمِي عَمْرو واقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه، ثم أقبل على عليٍّ فتنازلا وتجاولا، فقتله عليّ رضي الله عنه. وخرجتْ خيلُهم منهزمةً حتى اقتحمت من الخندق. وألقى عِكْرِمة يومئذٍ رُمْحَه وانهزم. وقال عليّ رضي الله عنه في ذلك:

نصَرَ الحجارةَ من سفاهةِ رأيِهِ ... ونَصَرتُ دينَ محمّدٍ بضرابِ
نــازلتُــهُ فتــركتُــهُ مُتَجــدّلاً ... كالجذْع بين دَكَادِكٍ وروابي
لا تَحْسِبُـنَّ الله خـاذلَ دينـه ... ونبيـهِ يـا معشـرَ الأحـزاب

وحدثني أبو ليلى عبدُالله بنُ سَهْل، أنّ عائشة رضي الله عنها كانت في حصن بني حارثة يوم الخندق، وكانت أمّ سعد بن مُعاذ معها في الحصن، فمرّ سعد وعليه دِرْعٌ مُقَلَّصَة قد خرجت منها ذراعهُ كلّها، وفي يده حربة يرفل بها ويقول:

لَبِّثْ قليلاً يَشْهَدِ الهَيْجا حَمَلْ ... لا بأسَ بالموتِ إذا حانَ الأجَلْ[1]

---

(١) كتب على هامش الأصل: «يعني: حَمَل بن بدر».

فقالت له أُمُّهُ: الحق أي بُنَيَّ فقد أُخِّرتَ. قالت عائشة: فقلت لها يا أمّ سعد لَوَدِدْتُ أنّ دِرْع سعدٍ كانت أسْبغ مما هي. فَرُمي سعد بسهمٍ قطع منه الأكحلَ، ورماه ابنُ العَرِقة فلما أصابه، قال: خذها مني وأنا ابنُ العَرِقة. فقال له سعد: عَرَّقَ اللهُ وجهكَ في النّار، اللَّهُمَّ إنْ كنتَ أبقيت من حرب قريشٍ شيئاً فأبقِني لها فإنّه لا قومٌ أحبّ إليّ من أنْ أُجاهدهم فيك من قومٍ آذوا رسولَك وكذَّبُوه وأخرجوه، اللَّهُمَّ إنْ كنتَ وضعتَ الحربَ بينهم وبيننا فاجعله لي شهادةً ولا تُمِتْني حتى تُقِرَّ عيني من بني قُرَيْظة.

وكانت صفّية بنتُ عبدالمطّلب في فارع ـ حصن حسّان بن ثابت ـ وكان معها فيه مع النّساء والولْدان، قالت: فمرَّ بنا يهوديٌّ فجعل يُطيفُ بالحصْن، وقد حاربت بنو قُرَيظة ونقضت وليس بيننا وبينهم أحدٌ يدفع عنّا، والنّبيُّ ﷺ والمسلمون في نُحور عدوّهم لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا. فقالت: يا حسّان إنّ هذا اليهوديّ كما تَرى يُطيفُ بالحصن، وإنّي والله ما آمَنُه أن يَدُلَّ على عورتنا مَنْ وَراءنا من يهود، وقد شُغِل عنّا رسولُ الله ﷺ وأصحابُه، فانزِلْ إليه فاقْتُلْه. قال: فغفر اللهُ لكِ يا ابنةَ عبد المطّلبِ، والله لقد عرفتِ ما أنا بصاحبِ هذا. فلما قال لي ذلك ولم أرَ عنده شيئاً، احتجزتُ[1] ثم اخذتُ عموداً ونزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتلته. فلما فرغتُ رجعت إلى الحصن فقلت: يا حسّان إنزل إليه فاسلبه، فإنّه لم يمنعني من سلبه إلاّ أنّه رجل. قال: ما لي بسَلَبه من حاجة[2].

---

(١) أي: شَددتُ وسطي.

(٢) ابن هشام ٢/٢٢٨. وقال السهيلي: «ويُحمل هذا الحديث عند الناس على أنَّ حساناً كان جباناً شديد الجبن، وقد دفع هذا بعض العلماء وأنكره، وذلك أنه حديث منقطع الإسناد، وقال: لو صَحَّ هذا لهُجِيَ به حسان، فإنه كان يُهاجي الشعراء كضرار وابن الزبعرى وغيرهما، وكانوا يناقضونه ويردون عليه فما =

وأقام رسولُ الله ﷺ وأصحابُه فيما وصف الله تعالى من الخوف والشدّة لتظاهر عدوّهم عليهم وإتيانهم من فوقهم ومن أسفلَ منهم.

وروى نحوه يونس بن بُكَيْر، عن هشام بن عُرْوَة، عن أبيه.

ثم إنَّ نُعَيْم بن مسعود الغَطفاني أتى رسولَ الله ﷺ فأسلم، وقال: إنّ قومي لم يعلموا بإسلامي فَمُرْني بما شئتَ يا رسول الله. قال: إنّما أنتَ فينا رجلٌ واحد فَخَذِّلْ عنّا ما استطعتَ فإنَّ الحربَ خُدْعة.

فأتى قُرَيْظَة ـ وكان نديماً لهم في الجاهلية ـ فقال لهم: قد عرفتم وُدّي إيّاكم. قالوا: صدقتَ. قال: إنّ قُريشاً وغَطفان ليسوا كأنتم، البلدُ بلدكُم وبه أموالكم وأولادكم ونساؤكم، لا تقدروا أنْ تتحوّلوا عنه إلى غيره، وإنّ قُريشاً وغَطفان جاؤوا لحرب محمدٍ وأصحابه، وقد ظاهرتموهم عليه، وبلدُهم وأموالهم ونساؤهم بغَيْره، فليسوا كأنتم، فإنْ رأوا نُهْزَةً[1] أصابوها، وإنْ كان غير ذلك لحِقُوا ببلادهم وخَلَّوا بينكم وبين الرجل ببلدكم، ولا طاقة لكم به إنْ خلا بكم، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رُهُناً من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقةً لكم على أن يقاتلوا معكم محمداً حتى تناجزوه. فقالوا: لقد أشَرْتَ بالرأي.

ثم خرج حتى أتى قُريشاً فقال لأبي سُفيان ومَن معه: قد عرفتم وُدّي لكم وفراقي محمداً، وإنّه قد بلغني أمرٌ قد رأيت عليَّ حقاً أن أُبلِّغكموه نُصْحاً لكم فاكتموه عليّ. قالوا: نفعل. قال: تَعَلَّموا أنّ معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا إليه أنَّا قد ندِمْنا على ما فعلنا، فهل يرضيكَ أنْ نأخذ لك من القبيلتين، قُريش وغَطفان، رجالاً من أشرافهم، فنعطيكَهُم فتضربَ أعناقَهم، ثم نكون

= عَيَّره أحد منهم بجبنٍ، ولا وسمه به، فدلَّ هذا على ضعف حديث ابن إسحاق...».

(١) كتب على هامش الأصل: «أي: فُرْصةً».

معك على مَنْ بقيَ منهم حتى نَسْتأصلَهُم. فأرسل إليهم: نعم. فإنْ بعثتْ إليكم يهود يلتمسون رُهُناً منكم من رجالكم فلا تفعلوا.

ثم خرج فأتى غَطفان، فقال: يا معشر غَطفان أنتم أصلي وعشيرتي وأحبّ النّاسِ إليَّ، ولا أراكم تتّهموني. قالوا: صدقتَ، ما أنت عندنا بمُتَّهم. قال: فاكتموا عنّي. قالوا: نفعل. ثم قال لهم مثل ما قال لقريش، وحذّرهم ما حذّرهم.

فلما كانت ليلة السبت من شوّال، وكان من صُنْعِ الله لرسوله ﷺ أن أرسل أبو سُفيان ورؤوس غَطفان، إلى بني قُرَيظة، عِكْرِمة بنَ أبي جهل في نفرٍ من قُريش وغَطفان، فقالوا: إنّا لسنا بدارِ مقام، قد هلك الخُفُّ والحافر، فاغْدُوا للقتالِ حتى نناجزَ محمداً. فأرسلوا إليهم الجوابَ أنّ اليومَ يومُ السبت وهو يومٌ لا نعملُ فيه شيئاً، وقد كان بعضُنا أحدث فيه حَدَثاً فأصابه ما لم يَخْفَ عليكم، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتلُ معكم محمداً حتىتعطونا رُهُناً من رجالكم يكونون بأيدينا ثِقَةً لنا حتى نُناجز محمداً، فإنّا نخشى إنْ ضرَّستكم الحربُ أنْ تنشمروا إلى بلادكم وتتركونا والرجل في بلادنا، ولا طاقة لنا بذلك.

فلما رجعت إليهم الرُّسلُ بما قالت بنو قُرَيْظة، قالت قريش وغَطفان: والله لقد حدّثكم نُعَيْم بن مسعود بحقّ. فأرسلوا إلى بني قُرَيظة: إنّا والله ما ندفع إليكم رجلاً من رجالنا، فإنْ كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا.

فقالت بنو قُرَيْظة حين انتهت إليهم الرُّسلُ بهذا: إنّ الذي ذكر لكم نُعَيْم لَحَقٌّ، ما يريد القوم إلاّ أن يقاتلوا، فإنْ رأوا فرصةً انتهزوها، وإنْ كان غير ذلك انشَمَرُوا إلى بلادهم. فأرسلوا إلى قريش وغَطفان: إنّا والله لا نقاتل معكم حتى تعطُونا رُهُناً. فأبَوا عليهم. وخَذَّلَ الله بينهم.

فلما أُنهيَ ذلك إلى رسول الله ﷺ، دعا حُذَيْفة بنَ اليَمان فبعثه ليلاً لينظر ما فعل القوم[1].

قال: فحدّثني يزيد بن أبي زياد، عن محمد بن كعب القُرَظي، قال: قال رجل من أهل الكوفة لحُذَيْفَة: يا أبا عبدالله، رأيتم رسولَ الله ﷺ وصحِبْتُموه؟ قال: نعم يا ابن أخي. قال: فكيف كنتم تصنعون؟ قال: والله لقد كنّا نجهد. فقال: والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض ولَحَمَلناه على أعناقنا. فقال: يا ابن أخي والله لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ بالخندق، وصلّى هَوِيّاً[2] من الليل، ثم التفت إلينا فقال: مَنْ رجلٌ يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع ـ يشرُطُ له رسول الله ﷺ الرَّجْعة ـ أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنّة. فما قام أحدٌ من شدّة الخوف وشدّة الجوع والبرد. فلما لم يقم أحدٌ دعاني فلم يكن لي من القيام بُدٌّ حين دعاني، فقال: يا حُذَيْفَة اذهب فادخل في القوم، فانظر ماذا يفعلون ولا تُحْدِثَنَّ شيئاً حتى تأتينا. فذهبتُ فدخلتُ في القومِ، والرّيح وجنودُ الله تَفعلُ بهم ما تفعل، لا يقرُّ لهم قرار ولا نارٌ ولا بناء. فقام أبو سُفيان فقال: يا معشر قريش، لينظر امرؤٌ مَنْ جليسه. قال حذيفة رضي الله عنه: فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي فقلتُ: مَنْ أنتَ، فقال: فلان بن فلان، ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش إنّكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكُراع والخُفّ، وأخلفتنا بنو قُريظة وَبَلَغَنَا عنهم الذي نكره، ولقينا من شدّة الريح ما ترون، ما تطمئنّ لنا قِدْر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناءٌ، فارتحلوا فإنّي مُرْتحل. ثم قام إلى جَمَله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاثٍ، فَوَالله ما أطلق عقاله إلاّ وهو قائم. ولولا

---

(١) ابن هشام ٢/ ٢٢٩-٢٣١.

(٢) أي: قطعة من الليل.

عهدُ رسول الله ﷺ أنْ لا تُحدِث شيئاً حتى تأتيني، ثم شئتُ لقتلتُه بسهم.

قال: فرجعتُ إلى رسولِ الله ﷺ وهو قائم يُصلّي في مرْطٍ لبعض نسائه مُرَاحَلٍ ـ وهو ضَرْبٌ من وَشْيِ اليمن فَسَرَهُ ابنُ هشام ـ فلما رآني أدخلني إلى رجليه وطرح عليَّ طَرَفَ المِرْط، ثم ركع وسجد وإنّي لَفِيه، فلما سلّم أخبرتُه الخبر.

وسَمِعَتْ غَطفان بما فعلت قُريش، فانشمروا راجعين إلى بلادهم[1].

قال الله تعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾ [الأحزاب].

وهذا كلُّه من رواية البكّائيّ عن محمد بن إسحاق.

وقال يونس بن بُكَيْر، عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، أنّ رجلاً قال لحُذَيْفَة: صَحِبْتُم رسولَ الله ﷺ وأدركتموه، فذكر الحديث نحو حديث محمد بن كعب، وفي آخره: فجعلت أُخبرُ رسولَ الله ﷺ عن أبي سُفيان، فجعل يضحك حتى جعلتُ أنظر إلى أنيابه.

وقال موسى بن عُقْبة، عن ابن شهاب، أنّ رسول الله ﷺ قاتلَ يوم بدرٍ في رمضان سنة اثنين، ثم قاتل يوم أُحُد في شوّال سنة ثلاثٍ، ثم قاتل يوم الخندق، وهو يوم الأحزاب وبني قُرَيْظة، في شوّال سنة أربع. وكذا قال عُرْوة في حديث ابن لَهِيعة عن أبي الأسود عنه. كذا قالا: سنة أربع، وقالا: في قصّة الخندق إنّها كانت بعد أُحُد بسنتين.

وقال قَتَادَة من رواية شَيْبان عنه: كان يومُ الأحزاب بعد أُحُد بسنتين، فهذا هو المقطوع به. وقول موسى وعُرْوة إنّها في سنة أربعٍ وَهْمٌ بيِّن، ويُشْبِهُهُ قول عُبَيْدالله، عن نافع، عن ابن عمر: «عرضني

---

(١) ابن هشام ٢/ ٢٣١-٢٣٣.

رسول الله ﷺ يوم أُحُد، وأنا ابنُ أربع عشرة، فلم يُجِزْني. فلما كان يوم الخندق عُرِضتُ عليه وأنا ابن خمس عشرة فأجازني»، فيُحْمَل قولُه على أنّه كان قد شرع في أربع عشرة سنة، وأنه يوم الخندق كان قد استكمل خمس عشرة سنة، وزاد عليها فلم يَعُدَّ تلك الزيادة. والعرب تفعل هذا في عددها وتواريخها وأعمارها كثيراً، فتارةً يعتدّون بالكسر ويعدُّونه سنة، وتارة يُسقِطونه. وذهب بعضُ العلماء إلى ظاهر هذا الحديث وعضدوه بقول موسى بن عُقْبة وعروة أنَّ الأحزاب في شوّال سنة أربع، وذلك مخالفٌ لقول الجماعة، ولِمَا اعترف به موسى وعُرْوة من أنّ بين أُحُد والخندق سنتين، والله أعلم.

وقال أبو إسحاق الفَزَاريُّ، عن حُمَيْد، عن أنس، قال: خرج رسول الله ﷺ في غَداةٍ باردةٍ إلى الخندق، والمهاجرون والأنصار يحفرون الخندق بأيديهم، ولم يكن لهم عبيد: فلما رأى ما بهم من الجوع والنَّصَب قال:

اللَّهُمَّ إنّ العيش عيشُ الآخره ... فاغفِرْ للأنصار والمهاجِرَه

فقالوا مجيبين له:

نحن الّذين بايعوا محمَّداً ... على الجهاد ما بقينا أبدا

أخرجه البخاري[1]. ولمسلم نحوه من حديث حمّاد بن سَلَمَة، عن ثابت[2].

وقال عبدالوارث: حدثنا عبدالعزيز بن صُهَيْب، عن أنس نحوه، وزاد، قال: ويُؤتون بمثل[3] حفنتين شعيراً يُصْنَعُ لهم بإهالةٍ سَنِخَةٍ وهي

---

(١) البخاري ٤/ ٣٠ و ٥/ ٤٢ و ١٣٧ و ٩/ ٩٦.
(٢) مسلم ٥/ ١٨٩.
(٣) هكذا في النسخ، وفي صحيح البخاري: بملءِ.

بَشِعَةٌ في الحَلْقِ، ولها ريحٌ منكرة فتوضع بين يَدَي القوم. أخرجه البخاري[1].

وقال شُعبة وغيره: حدثنا أبو إسحاق، سمع البراء يقول: كان رسول الله ﷺ ينقل معنا الترابَ يوم الأحزابِ، وقد وارى التُرابُ بياضَ إبطه وهو يقول:

اللَّهُمَّ لولا أنتَ ما اهْتدَيْنا ... ولا تصدَّقْنا ولا صلَّينا
فأنْزلَنْ سَكِينةً علينا ... وثبِّتِ الأقدامَ إنْ لاَقَيْنا
إنَّ الأُلَى قد بَغَوْا علينا ... وإنْ أرادوا فتنةً أبَيْنَا

رفع بها صوته. أخرجه البخاري[2].

وعنده أيضاً من وجه آخر: ويمدُّ بها صوته.

وقال عبدالواحد بن أيمن المخزومي، عن أبيه، سمع جابراً يقول: كنّا يوم الخندق نحفر الخندق فعرضت فيه كَدَّانة ـ وهي الجبل ـ فقلنا: يا رسول الله: إنّ كدانةً قد عَرَضَتْ فقال: رُشُّوا عليها. ثم قام فأتاها وبطنُهُ معصوبٌ بحجرٍ من الجوع، فأخذ المِعْوَل أو المِسْحاةَ فسمَّى ثلاثاً ثم ضرب، فعادت كثيباً أهْيَلَ، فقلت له: ائذنْ لي يا رسول الله إلى المنزل، ففعل، فقلت للمرأة: هل عندكِ من شيء؟ وذكر نحو ما تقدم وما سُقناه من مغازي ابن إسحاق. أخرجه البخاري[3].

وقال هَوْذة بن خليفة[4]: حدثنا عَوْف الأعرابيّ، عن ميمون بن

---

(١) البخاري ٥/١٣٨.
(٢) البخاري ٤/٣١ و٧٨ و٥/١٣٩ و١٤٠ و٨/١٥٨ و٩/١٠٤. وهو عند مسلم ٥/١٨٧ و١٨٨، وأحمد ٤/٢٨٥ و٢٩١ و٣٠٠ و٣٠٢، والدارمي (٢٤٥٩)، وغيرهم.
(٣) البخاري ٥/١٣٨.
(٤) أحمد ٤/٣٠٣.

أَستاذ الزَّهْراني، قال: حدّثني البراء بن عازب، قال: لما كان حين أمَرَنا رسولُ الله ﷺ بحفر الخندق، عرض لنا في بعض الخندق صخرةٌ عظيمة شديدة لا تأخذ فيها المعاول، فَشَكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فلما رآها أخذ المِعْوَل وقال: بسم الله، وضرب ضربةً فكسر ثلثها. فقال: الله أكبر أُعْطِيتُ مفاتيح الشّام، والله إنّي لأُبْصِرُ قصورها الحُمْر إنْ شاء الله. ثم ضرب الثانية وقطع ثُلُثاً آخر فقال: الله أكبر أُعْطيتُ مفاتيحَ فارس، والله إنّي لأُبصِر قصرَ المدائن الأبيض. ثم ضرب الثالثة فقال: بسم الله، فقطع بقيّة الحجر فقال: الله أكبر أُعطيت مفاتيحَ اليمن، والله إنّي لأُبْصر أبوابَ صنعاء من مكاني السّاعة.

وقال الثَّوري: حدثنا ابن المُنْكَدِر، سمعت جابراً يقول: قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: مَنْ يأتينا بخبر القوم؟ فقال الزُّبَير: أنا. فقال: مَنْ يأتينا بخبر القوم؟ فقال الزُّبير: أنا. فقال: «إنّ لكلّ نبيٍّ حَوَارِيّاً وحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ». أخرجه البخاري[1].

وقال الحسن بن الحسن بن عطيّة العَوْفي: حدّثني أبي، عن أبيه[2]، عن ابن عبّاس:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ ﴿٩﴾﴾ [الأحزاب] قال: كان ذلك يوم أبي سفيان؛ يوم الأحزاب.

﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ﴿١٣﴾﴾ [الأحزاب]، قال: هم بنو حارثة، قالوا: بيوتنا مخلّية نَخْشى عليها السَّرق.

قوله: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأحزاب] الآية، قال: لأنّ

---

(١) البخاري ٥/ ١٤١-١٤٢.

(٢) عطية وابنه ضعيفان.

الله قال لهم في سورة البقرة: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [البقرة]، فلمّا مَسَّهم البلاء حيث رابطوا الأحزابَ في الخندق، تأوَّل المؤمنون ذلك، ولم يزِدْهم إلاّ إيماناً وتسليماً.

وقال حمّاد بن سَلَمَة: أخبرنا حَجَّاج، عن الحَكَم، عن مِقْسَم، عن ابن عبّاس: أنّ رجلاً من المشركين قُتِل يوم الأحزاب، فبعث المشركون إلى رسول الله ﷺ أن ابعثْ إلينا بجسده ونُعطيهم اثنيْ عَشَرَ ألفاً، فقال: لا خير في جسده ولا في ثمنه.

وقال الأصمعيّ: حدثنا عبدالرحمن بن أبي الزّناد، قَال: ضرب الزُّبَيْر بن العوّام يومَ الخندق عثمانَ بنَ عبدالله بن المغيرة بالسيف على مِغْفَرِه فَقَدَّه إلى القُرْبُوس[1]، فقَالوا: ما أجودَ سيفكَ، فغضبَ، يريد أنّ العملَ ليدِهِ لا لسيفه.

قال شُعبة، عن الحَكَم، عن يحيى بن الجزّار، عن عليّ: أنَّ رسول الله ﷺ كان يوم الأحزاب قاعداً على فُرْضة من فُرَض الخندق، فقال ﷺ: شغلونا عن صلاة الوسطى حتى غربت الشمس، ملأ الله قبورَهم وبيوتَهم ناراً، أو بطونَهم. أخرجه مسلم[2].

وقال يحيى بن أبي كثير، عن أبي سَلَمَة، عن جابر، أنّ عمر يوم الخندق بعدما غربت الشمس جعل يسبُّ كفّارَ قُريش، وقال: يا رسول الله ما كِدْتُ أنْ أصلّي حتى كادت الشمس أن تغرُب. فقال رسول الله ﷺ: وأنا والله ما صلَّيْتُها بعدُ. فنزلتُ مع رسول الله، أحسَبُهُ قال إلى بُطْحان[3]، فتوضّأ للصّلاة وتوضّأنا، فصلّى العصرَ بعدما غربت

---

(١) مُقَدَّمُ السَّرْج أو مؤخره.
(٢) مسلم ٢/ ١١١و١١٢.
(٣) وادٍ بالمدينة.

الشمس، ثم صلّى المغرب. مُتَّفقٌ عليه[1].

وقال جرير، عن الأعمش، عن إبراهيم التَّيْمي، عن أبيه، قال: كنّا عند حُذَيْفة بن اليمان، فقال رجل: لو أدركتُ رسولَ الله ﷺ لقَاتلتُ معه وأبْلَيت. فقال: أنتَ كنت تفعلُ ذاك؟ لقد رأيتنا مع رسولِ الله ﷺ ليلةَ الأحزاب في ليلةٍ ذاتِ ريحٍ شديدةٍ وقَرٍّ، فقال رسول الله ﷺ: ألا رجل يأتي بخبر القوم يكون معي يوم القيامة؟ فلم يُجْبه منّا أحدٌ، ثم الثانية، ثم الثالثة مثله. ثم قال: يا حُذَيْفة قم فأْتنا بخبر القوم. فلم أجد بُدّاً إذ دعاني باسمي أنْ أقوم. فقال ائتني بخبر القوم ولا تَذْعَرْهم عليَّ. قال: فمضيت كأنّما أمشي في حمَّام حتى أتيتهم، فإذا أبو سُفيان يَصْلي ظهرَه بالنّار. فوضعت سهمي في كبِد قوسي وأردتُ أن أرميه، ثم ذكرت قولَ رسول الله ﷺ: لا تَذْعَرْهُم عليّ، ولو رميته لأصبتُه. قَال: فرجعتُ كانّما أمشي في حَمَّام فأتيتُ رسولَ الله ﷺ، ثم أصابني البرد حين فرغت وقُرِرْتُ، فأخبرتُ رسولَ الله ﷺ، فألبسني من فضل عباءةٍ كانت عليه يصلّي فيها، فلم أزل نائماً حتى الصُّبح، فلما أنْ أصبحت قال رسول الله ﷺ: «قم يا نَوْمَان». أخرجه مسلم[2].

وقال أبو نُعَيْم: حدثنا يوسف بن عبدالله بن أبي بُرْدَة، عن موسى بن أبي المختار، عن بلال العَبْسيّ، عن حُذَيْفَة: أنّ النّاس تفرّقوا عن رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب، فلم يبق معه إلاّ اثنا عشر رجلاً، فأتاني رسولُ الله ﷺ وأنا جاثٍ من البرد، فقال: انطلق إلى عسكر الأحزاب. فقلت: والذي بعثك بالحقِّ ما قمتُ إليك من البرد إلاّ حياءً منك. قال: فانطلق يا ابنَ اليَمان فلا بأسَ عليك من حَرٍّ ولا بردٍ حتى ترجع إليَّ. فانطلقتُ إلى عسكرهم، فوجدت أبا سُفيان يُوقِدُ النَّار في عُصْبةٍ حولَه، قد تفرَّق

---

(١) البخاري ١/ ١٥٤ و ١٥٥ و ١٦٤ و ٢/ ١٨ و ٥/ ١٤١، ومسلم ٢/ ١١٣.
(٢) مسلم ٥/ ١٧٧.

الأحزاب عنه، حتى إذا جلستُ فيهم، حَسَّ أبو سُفيان أنّه دخلَ فيهم مِنْ غيرهم، فقال: يأخذ كلُّ رجلٍ منكم بيد جليسِه. قال: فضربتُ بيدي على الذي عن يميني فأخذت بيده، ثم ضربت بيدي إلى الذي عن يساري فأخذتُ بيده. فكنتُ فيهم هُنيةً. ثم قمتُ فأتيتُ رسولَ الله ﷺ وهو قائم يصلّي، فأومأ إليَّ بيده أن: ادْنُ، فَدَنَوْتُ. ثم أومأ إليَّ فدنوتُ. حتى أسبلَ عليَّ من الثَّوْبِ الذي عليه وهو يصلِّي. فلما فرغ قال: ما الخبر؟ قلت: تفرّق النّاسُ عن أبي سُفيان، فلم يبقَ إلاّ في عُصْبةٍ يوقد النّار، قد صبّ الله عليه من البرد مثلَ الذي صبَّ علينا، ولكنّا نرجوا من الله ما لا يرجو.

وقال عِكْرمة بن عمّار، عن محمد بن عُبَيْد الحنفي، عن عبدالعزيز ابن أخي حُذَيْفة، قال: ذكر حُذَيْفَة مشاهدَهم، فقال جلساؤه: أما والله لو كنّا شهدنا ذلك لفعلنا وفعلنا. فقال حُذَيْفة: لا تَمَنَّوْا ذلك، فلقد رأيتُنا ليلةَ الأحزاب. وساق الحديث مطوَّلاً.

وقال إسماعيل بن أبي خالد: حدثنا ابن أبي أوفى، قال: دعا رسولُ الله ﷺ على الأحزاب فقال: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكتابِ سريعَ الحساب اهزِمِ الأحزابَ، اللَّهُمَّ اهزمهم وزلزلهم». مُتَّفقٌ عليه[1].

وقال اللَّيْث: حدّثني المَقْبُرِيّ، عن أبيه، عن أبي هريرة أنّ رسولَ الله ﷺ كان يقول: «لا إله إلاّ الله وحده، أعَزَّ جُنْدَه، ونصر عبده، وغلبَ الأحزابَ وحده فلا شيء بعده». مُتَّفقٌ عليه[2].

وقال إسرائيل وغيره، عن أبي إسحاق، عن سليمان بن صُرَد، قال: قال رسولُ الله ﷺ حين أجلى عنه الأحزاب: «الآن نغزوهم ولا

---

(١) البخاري ٤/ ٥٣ و ٥/ ١٤٢ و ٨/ ١٠٤ و ٩/ ١٧٤، ومسلم ٥/ ١٤٣ و ١٤٤.
(٢) البخاري ٥/ ١٤٢، ومسلم ٨/ ٨٣.

يغزونا؛ نسيرُ إليهم». أخرجه البخاري[1].

وقال خارجة بن مُصْعَب، عن الكلبيّ، عن أبي صالح، عن ابن عبّاس: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ ۝٧﴾ [الممتحنة]، قال: تزويج النّبيّ ﷺ أمّ حبيبة بنت أبي سُفيان، فصارت أمّ المؤمنين، وصار معاوية خال المؤمنين. كذا روى الكلبيّ وهو متروك.

وذهب العلماء في أُمّهات المؤمنين أنّ هذا حكم مختصٌّ بهنّ ولا يتعدّى التحريمُ إلى بناتهنَّ ولا إلى إخوتهنَّ ولا أخَواتهنّ.

واستُشْهد يوم الأحزاب:

عبدالله بن سهل بن رافع الأشهلي، تَفَرَّدَ ابنُ هشام[2] بأنّه شهد بدراً.

وأنَس بن أوْس بن عتيك الأشهلي، والطُّفَيْل بن النُّعمان بن خنساء، وثعلبة بن عَنَمة؛ كلاهما من بني جُشَم بن الخزرج.

وكعب بن زيد أحد بني النَّجَّار، أصابه سهمٌ غَرْبٌ، وقد شهد هؤلاء الثلاثة بدراً.

ذكر ابن إسحاق[3] أنّ هؤلاء الخمسة قُتِلوا يوم الأحزاب.

وقال ابن لَهِيعة، عن أبي الأسود، عن عُرْوة، قال: قُتِل من المشركين يوم الخندق: نوفل بن عبدالله بن المغيرة المخزومي؛ أقبل على فَرَسٍ له لِيُوثِبَهُ الخندقَ، فوقعَ في الخندق فقتله اللهُ، وكَبُر ذلك على المشركين وأرسلوا إلى رسول الله ﷺ: إنّا نعطيكم الدِّية على أنْ تدفعوه إلينا فندفنه. فَردَّ إليهم رسولُ الله ﷺ: إنّه خبيثُ الدِّيةِ لعنه الله

---

(١) البخاري ٥/ ١٤١.
(٢) السيرة النبوة ٢/ ٢٥٢.
(٣) ابن هشام ٢/ ٢٥٢.

ولعن دِيَتَه ولا نمنعكم أنْ تدفنوه، ولا أرَب لنَا في دِيَتِه.

غزوَة بَنيْ قُرَيْظَة

وكانوا قد ظاهروا قريشاً وأعانوهم على حرب رسول الله ﷺ. وفيهم نزلت ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ ﴿٢٦﴾﴾ [الأحزاب] الآيتين.

قال هشام، عن أبيه، عن عائشة، قالت: لما رجع رسول الله ﷺ من الخندق ووضع السّلاح واغتسل أتاه جبريل وقال: وضعتَ السّلاح؟ والله ما وضعناه، اخرج إليهم. قال: فأين؟ قال: هاهنا. وأشار إلى بني قُرَيْظة. فخرج النّبيُّ ﷺ. مُتَّفقٌ عليه[1].

وقال حُمَيْد بن هلال، عن أنس: كأنّي أنظر إلى الغُبار ساطعاً من سكّة بني غَنْم، موكِبَ جبريل حين سار إلى بني قُرَيْظة. البخاري[2].

وقال جُوَيْرِية، عن نافع، عن ابن عمر، قال: نادى فينا رسولُ الله ﷺ يوم انصرف من الأحزاب أن لا يُصَلّيَنَّ أحدٌ العصرَ إلاّ في بني قُرَيْظة. فتخوّف ناس فَوْت الوقت فصلّوا دون قُرَيْظة. وقال آخرون: لا نصلّي إلا حيث أمرَنَا رسولُ الله ﷺ وإنْ فاتنا الوقت. فما عنّف واحداً من الفريقين. مُتّفقٌ عليه[3].

وعند مسلم في بعض طُرُقه: الظُّهر بدلَ العصر. وكأنّه وَهْم.

وقال بِشْر بن شُعَيْب، عن أبيه، قال: حدثنا الزُّهْري، قال: أخبرنا عبدالرحمن بن عبدالله بن كعب بن مالك، أنّ عمّه عُبَيْدالله بن كعب

---

(١) البخاري ٥/ ١٤٢، ومسلم ٥/ ١٦٠.
(٢) البخاري ٥/ ١٤٢-١٤٣.
(٣) البخاري ٢/ ١٩و٥/ ١٤٣، ومسلم ٥/ ١٦٢.

أخبره أنّ رسول الله ﷺ لما رجع من طلب الأحزاب وضع عنه اللأمة واغتسل واستجمر، فتبدَّى له جبريل عليه السلام، فقال: عَذيرَكَ من محاربٍ، ألا أراك قد وضعت اللأمة وما وضعناها بعدُ. فوثب رسول الله ﷺ فزِعاً فعزم على النّاس أنْ لا يصلُّوا العصرَ حتى يأتوا بني قُرَيْظة. فلبسوا السلاح، فلم يأتوا بني قُرَيْظة حتى غربت الشمس، فاختصم النّاس عند غروبها، فقال بعضهم: إنّ رسول الله ﷺ عزم علينا أنْ لا نصلّي حتى نأتي بني قُرَيْظة، وإنما نحن في عزيمة رسول الله ﷺ، فليس علينا إثم. وصلّى طائفة من النّاس احتساباً، وتركت طائفة حتى غربت الشمس فصلَّوا حين جاؤوا بني قُرَيْظة. فلم يُعَنِّفْ رسولُ الله ﷺ واحداً من الفريقين[1].

وروى نحوَه عبدُالله بنُ عمر، عن أخيه عُبَيْدالله، عن القاسم، عن عائشة، وفيه أنّ رجلاًسلّم علينا ونحن في البيت، فقام رسول الله ﷺ فَزِعاً، فقمت في إثره، فإذا بدحية الكلبي، فقال رسول الله ﷺ: هذا جبريلُ يأمرني أنْ أذهبَ إلى بني قُرَيْظة، وقال: وضعتم السلاح، لكنّا لم نضعِ السلاح، طلبنا المشركين حتى بلغنا حمراءَ الأسَد. وفيه: فمرّ رسول الله ﷺ بمجالس بينه وبين بني قُرَيْظة، فقال: هل مَرَّ بكم من أحدٍ؟ قالوا: مرّ علينا دِحْية الكلْبيّ على بغلةٍ شَهباء تحته قطيفة ديباج. قال: ليس ذاك بدِحْية الكلبي ولكنّه جبريل أُرسِل إلى بني قُرَيْظة ليُزَلْزلهم ويقذف في قلوبهم الرُّعب. فحاصرهم النّبيّ ﷺ، وأمر أصحابه أن يستروه بالحَجَفِ حتى يسمعَهم كلامَهُ. فناداهم: يا إخوة القردة والخنازير، فقالوا: يا أبا القاسم لم تك فحَّاشاً. فحاصرهم حتىنزلوا على حُكم سعد بن مُعَاذ، وكانوا حلفاءه، فحكم فيهم أن تُقتل مقاتلتهم وتُسبَى ذراريهم ونساؤهم.

---

(١) وانظر المغازي للواقدي ٢/ ٤٩٧، وابن هشام ٢/ ٣٣٣-٢٣٤.

وقال محمد بن عَمْرو، عن أبيه، عن جدّه علقمة، عن عائشة، قالت: جاء جبريل وعلى ثناياه النَّقْع، فقال: أوَضَعْتَ السّلاح؟ واللهِ ما وَضَعَتْهُ الملائكةُ، اخْرُجْ إلى بني قُرَيْظة. فلبس رسول الله ﷺ لأمَتَه، وأَذّن بالرحيل، ثم مرّ على بني عمرو[1] فقال: مَنْ مرّ بكم؟ قالوا: دِحْية. وكان دِحْية يشبه لحيتُه ووجهُه جبريل. فأتاهم فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة، ثم نزلوا على حُكْم سعد، وذكر الحديث بطوله في مُسْنَد أحمد[2].

وقال يونس، عن ابن إسحاق[3]: قَدَّمَ رسولُ الله علياً معه رايته وابتَدَرَ النّاسُ.

وقال موسى بن عُقْبة[4]: وخرج رسول الله ﷺ في أثر جبريل، فمرّ على مجلس بني غَنْم وهم ينتظرون رسول الله ﷺ، فسألهم: مَرَّ عليكم فارس آنفاً؟ فقالوا: مرّ علينا دِحْية على فرسٍ أبيض تحته نمطٌ أو قطيفةٌ من ديباج عليه اللأمة. قال: ذاك جبريل. وكان رسول الله ﷺ يُشَبِّه دِحيةَ بجبريل. قال: ولما رأى عليّ بن أبي طالب رسول الله ﷺ مقبلاً تلقّاه. وقال: ارجع يارسولَ الله، فإنَّ الله كافيكَ اليهودَ. وكان عليٌّ سمع منهم قولاً سَيِّئاً لرسول الله ﷺ وأزواجه. فكره عليٌّ أنْ يسمع ذلك، فقال: لِمَ تأمرني بالرجوع؟ فكتمَهُ ما سمعَ منهم. فقال: أظنّك سمعت لي منهم أذىً؟ فامضِ فإنَّ أعداءَ الله لو قد رأوني لم يقولوا شيئاً ممّا سمعت.

فلما نزل رسول الله ﷺ بحصنهم، وكانوا في أعلاه، نادى بأعلى صوته نفراً من أشرافها حتى أسمعهم فقال: أجيبونا يا معشر يهود يا

---

(١) هكذا في النسخ وفي مسند أحمد: غَنْم.
(٢) أحمد ٦/ ١٤١-١٤٢.
(٣) ابن هشام ٢/ ٢٣٤.
(٤) نص موسى نقله البيهقي في الدلائل ٤/ ١٢-١٤.

إخوة القِرَدَة، لقد نزل بكم خِزْي الله. فحاصرهم ﷺ بكتائب المسلمين بضع عشرة ليلة، وردّ الله حُيَيَّ بنَ أخطب حتى دخل حصنَهُم، وقذف الله في قلوبهم الرُّعب، واشتدّ عليهم الحصار، فصرخوا بأبي لُبابة بن عبدالمنذر وكانوا حلفاء الأنصار. فقال: لا آتيهم حتى يأذنَ لي رسولُ الله ﷺ. فقال: قد أذِنْتُ لك. فأتاهم، فبكوا إليه وقالوا: يا أبا لُبابة، ماذا ترى، فأشار بيده إلى حَلْقه، يُريهم أنَّ ما يُراد بكم القتل. فلما انصرف سُقِط في يده ورأى أنّه قد أصابته فتنةٌ عظيمة، فقال: والله لا أنظر في وجه رسول الله ﷺ حتى أُحدِثَ لله توبةً نَصُوحاً يعلمها اللهُ من نفسي. فرجع إلى المدينة فربط يديه إلى جذع من جذوع المسجد. فزعموا أنّه ارتبط قريباً من عشرين ليلة.

فقال رسول الله ﷺ، كما ذُكِرَ، حين راث عليه[1] أبو لُبابة: أما فَرَغَ أبو لُبابة من حلفائه؟ قالوا: يا رسول الله، قد والله انصرف من عند الحصنِ وما ندري أينَ سلكَ. فقال: قد حدث له أمرٌ. فأقبل رجلٌ فقال: يا رسول الله، رأيت أبا لُبابة ارتبط بحبلٍ إلى جِذْعٍ من جذوع المسجد. فقال رسول الله ﷺ: لقد أصابته بعدي فتنةٌ، ولو جاءني لاستغفرتُ له. فإذْ فعلَ هذا فلن أحرِّكه من مكانِه حتى يقضي اللهُ فيه ما شاء.

وقال ابن لَهِيعة، عن أبي الأسود، عن عُرْوَة، فذكر نحو ما قصَّ موسى بن عقبة، وعنده: فلبس رسول الله ﷺ لأمَتَه وأذَّن بالخروج، وأمرهم أن يأخذوا السّلاح. ففزع النَّاسُ للحرب، وبعث عليّاً على المقدّمة ودفع إليه اللواء. ثم خرج رسول الله ﷺ على آثارهم. ولم يقل بضع عشرة ليلة.

---

(١) أي: أبطأ عليه.

وقال يونس بن بُكَيْر، والبكائي ـ واللَّفظ له ـ عن ابن إسحاق[1]، قال: حاصرهم رسول الله ﷺ خمساً وعشرين ليلةً، حتى جَهَدَهُم الحصارُ، وقذف الله في قلوبهم الرُّعب. وكان حُيَيُّ بنُ أخطب دخل مع بني قُرَيْظة في حِصْنهم حين رجعت عنهم قُريش وغَطفان، وفاءً لكعب ابن أسد بما كان عاهده عليه، فلما أيقنوا بأنّ رسول الله ﷺ غير منصرفٍ عنهم حتى يناجزهم، قال كعب بن أسد: يا معشر يهود، قد نزلَ بكم من الأمرِ ما ترون، وإنّي عارضٌ عليكم خِلالاً ثلاثاً، فخُذوا أيَّها شئتم. قالوا: وما هي؟ قال: نُبايع هذا الرجل ونُصَدِّقُه، فَوالله لقد تَبَيَّنَ لكم أنه لَنَبِيٌّ مُرْسَل، وأنّه للَّذي تَجدونه في كتابكم، فتأْمَنون على دمائكم وأموالكم. قالوا: لا نفارق حُكمَ التَّوراة أبداً ولا نستبدل به غيرَه. قال: فإذْ أبيتم عليَّ هذه، فهلُمَّ فلنقتل أبناءنا ونساءنا، ثم نخرج إلى محمدٍ وأصحابه مُصْلِتين السُّيوف لم نترك وراءنا ثَقَلاً، حتى يحكم اللهُ بيننا وبين محمد، فإنْ نَهْلِكْ نهلك ولم نترك وراءنا نَسْلاً نخشى عليه، وإنْ نظهر فَلَعَمْري لَنَتّخِذَنَّ النّساء والأبناء. قالوا: نقتل هؤلاء المساكين، فما خير العيش بعدهم؟ قال: فإنْ أبيتم هذه فإنّ الليلة ليلة السبت وإنّه عسى أنْ يكون محمدٌ وأصحابه قد أمِنُوا فيها فانزلوا لعلَّنا نُصيب من محمدٍ وأصحابه غِرَّة. قالوا: نُفسد سبْتَنَا ونُحدِث فيه ما لم يُحْدِث مَن كان قَبلَنا، إلا مَن قد علِمْتَ فأصابَهُ ما لم يَخْفَ عليك من المَسْخ؟ قال: ما باتَ رجلٌ منكم منذ ولدته أمُّهُ ليلةً واحدة من الدَّهر حازماً.

رواه يونس بن بُكَيْر، عن ابن إسحاق، لكنّه قال عن أبيه، عن مَعْبَد ابن كعب بن مالك، فذكره وزاد فيه: ثم بعثوا يطلبون أبا لُبابة، وذَكَرَ رَبْطَه نفسه.

---

(١) ابن هشام ٢/ ٢٣٥.

وزعم سعيد بن المسيّب: أنَّ ارتباطه بساريةِ التَّوبة كان بعد تخلُّفه عن غزوة تَبُوك حين أعرضَ عنه رسولُ الله ﷺ وهو عليه عاتبٌ، بما فعل يوم قُرَيْظة، ثم تخلّف عن غزوة تَبُوك فيمن تخلّف. والله أعلم.

وفي رواية عليّ بن أبي طلحة، وعطيّة العَوْفي، عن ابن عبّاس في ارتباطه حين تخلّف عن تَبُوك ما يؤكِّدُ قولَ ابن المسيّب. وقيل: نزلت هذه الآية في أبي لُبابة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنفال].

وقال البكّائيّ، عن ابن إسحاق[1]: حدّثني يزيد بن عبدالله بن قُسَيْط، أنّ تَوْبة أبي لُبابة نزلت على رسول الله ﷺ وهو في بيت أمّ سَلَمَة، قالت أم سلمة: فسمعتُ رسولَ الله ﷺ من السَّحَر وهو يضحك، فقلتُ: مِمّ تضحك؟ قال: تِيْبَ على أبي لُبابة. قلتُ: أفلا أُبشِّرُه؟ قال: إنْ شئتِ. قال: فقامت على باب حُجْرَتِها، وذلك قبل أن يُضْرَب عليهنّ الحجاب، فقالت: يا أبا لُبابة، أبْشِر فقد تاب الله عليك. قالت: فثار إليه النّاس ليُطْلِقُوه. فقال: لا والله حتى يكون رسولُ الله ﷺ هو الذي يُطْلِقني بيده. فلما مرّ عليه خارجاً إلى صلاة الصُّبح أطلقه.

قال عبد الملك بن هشام[2]: أقام أبو لُبابة مرتبطاً بالجذْع ستَّ ليالٍ: تأتيه امرأتُهُ في وقتِ كلِّ صلاةٍ تحلُّه للصلاةِ، ثم يعود فيرتبط بالجذع، فيما حدّثني بعضُ أهل العلم. والآية التي نزلت في توبته: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا ﴿١٠٢﴾﴾ [التوبة] الآية.

قال ابن إسحاق[3]: ثم إنّ ثعلبة بن سَعْيَة، وأسيد بن سعية، وأسد ابن عُبَيْد، وهم نفر من هَدْل، أسلموا تلك الليلة التي نزل فيها بنو قُرَيْظة

(١) ابن هشام ٢/ ٢٣٧.
(٢) ابن هشام ٢/ ٢٣٨.
(٣) ابن هشام ٢/ ٢٣٨.

على حُكْم رسول الله ﷺ.

شُعْبة: أخبرني سعد بن إبراهيم، قال: سمعتُ أبا أُمَامَة بن سهل يحدّثُ عن أبي سعيد قال: نزل أهل قُرَيْظة على حكُم سعد بن مُعَاذ، فأرسل إليه رسولُ الله ﷺ، فأتاه على حمار. فلما دنا قريباً من المسجد قال رسول الله ﷺ: قوموا إلى سَيِّدكم، أو إلى خَيْرِكم فقال: إنّ هؤلاء قد نزلوا على حُكمك، فقال: تقتل مُقَاتلتهم وتُسبى ذريتهم. فقال رسول الله ﷺ: لقد حكمتَ عليهم بحكم الله. وربّما قال: بحكم المَلِك. مُتَّفقٌ عليه[1].

وقال يونس بن بُكَيْر، عن ابن إسحاق[2] قال: قاموا إليه فقالوا: يا أبا عَمْرو، قد ولّاك رسولُ الله ﷺ أمرَ مواليكَ لتحكم فيهم. فقال سعد: عليكم بذلك عهدُ الله وميثاقُه؟ قالوا: نعم. قال: وعلى مَنْ ها هنا من النّاحية التي فيها النّبيّ ﷺ ومَن معه، وهو مُعرضٌ عن رسولِ الله ﷺ إجلالاً له؛ فقال رسول الله ﷺ: نعم. فقال سعد: أحكمُ أنْ تُقتلَ الرجال وتقسم الأموال وتسبى الذّراري.

شُعْبة وغيره: عن عبدالملك بن عُمَيْر، عن عطيّة القرظِيّ، قال: كنت في سَبْي قُرَيْظة، فأمر رسول الله ﷺ بمن أنبت[3] أنْ يُقْتَل، فكنتُ فيمن لم يُنْبت.

موسى بن عُقْبة: قال رسول الله ﷺ حين سألوه أن يُحَكِّم فيهم رجلاً: اختاروا مَنْ شئتم من أصحابي؟ فاختارو سعدَ بن مُعاذ، فرضيَ بذلك رسولُ الله ﷺ، فنزلوا على حُكْمه. فأمر عليه السلام بسلاحهم فجُعِل في قُبَّته، وأمر بهم فكُتِّفوا وأُوثقوا وجُعِلوا في دارِ أُسامة. وبعث

---

(١) البخاري ٤/ ٨١ و ٥/ ٤٤ و ١٤٣ و ٨/ ٧٢، ومسلم ٥/ ١٦٠.
(٢) ابن هشام ٢/ ٢٣٩-٢٤٠.
(٣) أي: بَلَغ الحلم.

رسول الله ﷺ إلى سعدٍ، فأقبل على حمارٍ أعرابيّ يزعمون أنّ وطاءَهُ بَرْذَعةٌ من ليف، واتّبعه رجلٌ من بني عبدالأشهل، فجعل يمشي معه ويعظّم حقَّ بني قُرَيْظة ويذكر حِلْفَهم والذي أبْلوه يومَ بُعاث، ويقول: اختاروك على مَنْ سواك رجاءَ رحمتِكَ وتحنُّنكَ عليهم، فاسْتَبْقِهِم فإنَّهم لك جمالٌ وعُدَد. فأكثرَ ذلك الرجلُ، وسعدُ لا يَرْجع إليه شيئاً، حتى دَنَوا، فقال الرجل: ألا تَرجعُ إليَّ فيما أُكلِّمُكَ فيه؟ فقال سعد: قد آنَ لي أنْ لا تأخذني في اللهِ لومةُ لائم. ففارقه الرجلُ، فأتى قومَهُ فقالوا: ما وراءكَ؟ فأخبرهم أنّه غير مُسْتَبْقيهم، وأنَّ رسولَ الله ﷺ قتل مُقاتلتهُم، وكانوا فيما زعموا ست مئة مُقاتل قُتِلوا عند دار أبي جَهْم بالبلاط، فزعموا أنَّ دماءهم بلغتْ أحجار الزَّيت التي كانت بالسّوق، وسبى نساءهم وذراريهم، وقسم أموالهم بين مَنْ حضر من المسلمين. وكانت خيلُ المسلمين ستة وثلاثين فرساً. وأُخْرِجَ حُيَيُّ بنُ أخطب فقال له رسولُ الله ﷺ: هل أخزاكَ الله؟ قال له: لقد ظهرتَ عليَّ وما ألومُ إلاّ نفسي في جهادكَ والشّدّة عليك. فأمر به فضُرِبَتْ عُنُقُه. كلُّ ذلك بعين سعد.

وكان عَمْرو بن سُعْدى اليهودي في الأسرى، فلما قدَّموه ليقتلوه فقدوه فقيل: أين عَمْرو؟ قالوا: واللهِ ما نراهُ، وإنّ هذه لَرُمَّتُه[1] التي كان فيها، فما ندري كيف انفلتَ؟ فقال رسول الله ﷺ: أفلتَنا بما علمَ الله في نفسه. وأقبل ثابت بن قيس بن شماس إلى رسول الله ﷺ فقال: هب لي الزَّبير؛ يعني ابن باطا وامرأته. فوهبهما له، فرجع ثابت إلى الزَّبير، فقال: يا أبا عبدالرحمن هل تعرفني ـ وكان الزبير يومئذٍ أعمى كبيراً ـ قال: هل ينكر الرجلُ أخاه؟ قال ثابت: أردتُ أن أجزيك اليوم بيدك، قال: افعل، فإنَّ الكريمَ يَجْزي الكريمَ، فأطلقه. فقال: ليس لي

(١) أي: قطعة الحبل التي كان مربوطاً فيها.

قائد، وقد أخذتم امرأتي وبَنيَّ، فرجع ثابت إلى رسولِ الله ﷺ فسأله ذرّيَة الزَّبير وامرأته، فوهبهم له، فرجع إليه فقال: قد ردَّ إليكَ رسولُ الله ﷺ امرأتكَ وبنيك. قال الزَّبير: فحائطٌ لي فيه أعذق ليس لي ولأهلي عيشٌ إلاّ به. فوهبه له رسولُ الله ﷺ. فقال له ثابت: أسلم، قال: ما فعل المجلسان؟ فذكر رجالاً من قومه بأسمائهم. فقال ثابت: قد قُتِلوا وفُرِغَ منهم، ولعلّ الله أنْ يَهديك. فقال الزَّبير: أسألك بالله وبيدي عندك إلاّ ما ألحقتني بهم، فما في العيشِ خيرٌ بعدهم. فذكر ذلك ثابت لرسول الله ﷺ، فأمر بالزَّبير فقُتِل.

قال الله تعالى في بني قُرَيْظة في سياق أمر الأحزاب: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم﴾ يعني: الذين ظاهروا قُريشاً: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾﴾ [الأحزاب].

وقال عُرْوَة في قوله: ﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ﴿٢٧﴾﴾ [الأحزاب]. هي خَيْبَر.

وقال البكّائيّ، عن ابن إسحاق[1]: حدّثني عاصم بن عمر بن قَتَادة، عن عبدالرحمن بن عَمْرو بن سعد بن مُعَاذ، عن علقمة بن وقّاص اللّيْثي، قال: قال رسول الله ﷺ لسعد: لقد حكمتَ فيهم بحكم الله من فوقِ سبعة أرقعة[2].

وقال البكّائيّ، عن ابن إسحاق[3]: فحبسهم رسولُ الله ﷺ في دار بنت الحارث النَّجّارية، وخرج إلى سوق المدينة، فخندق بها خنادقَ، ثم بعثَ إليهم فضرب أعناقهم في تلك الخنادق. وفيهم حُيَيّ بن أخطب، وكعب بن أسد رأس القوم. وهم ست مئة أو سبع مئة،

---

(١) ابن هشام ٢/ ٢٤٠.
(٢) هي السماوات.
(٣) ابن هشام ٢/ ٢٤٠-٢٤١.

والمُكَثِّرُ يقول: كانوا بين الثمان مئة والتسع مئة. وقد قالوا لكعب وهو يذهب بهم إلى رسولِ الله ﷺ أرسالاً: يا كعبُ ما تراه يصنع بنا؟ قال: أفي كلِّ موطنٍ لا تعقلون. أما ترون الدَّاعي لا ينزع، وأنّه مَنْ ذهبَ منكم لا يرجع؟ هو والله القتْل. وأُتِيَ بحُيَيّ بن أخطب وعليه حلّة فُقَّاحية[1] قد شقّها من كل ناحية قدر أُنمُلَة لئلاّ يُسْلَبها، مجموعةً يَدَاهُ إلى عُنُقه بحبل، فلما نظر إلى رسولِ الله ﷺ قال: أمَا والله ما لُمْتُ نفسي في عداوتك، ولكنّه من يَخْذل الله يُخْذَل. ثم أقبل على النّاس فقال: أيّها النّاس إنّه لا بأس بأمرِ الله. كتابٌ وقَدَرٌ ومَلْحمة كُتبت على بني إسرائيل. ثم جلس فضُربت عُنُقُه.

وقال ابن إسحاق[2]، عن محمد بن جعفر بن الزُّبَيْر، عن عمّه عُرْوة، عن عائشة، قالت: لم يُقتل من نسائهم إلاّ امرأة واحدة، قالت: إنّها والله لعندي تَحَدَّثُ معي وتَضحكُ ظهراً وبَطْناً، ورسولُ الله ﷺ يقتل رجالَهم بالسُّوق إذ هتف هاتفٌ: يابنتَ فُلانة. قالت: أنا والله. قلتُ: ويْلكِ، ما لكِ؟ قالت: أُقتَل. قلتُ: ولِمَ؟ قالت: حَدَثٌ أحدثته. فانْطُلِقَ بها فضُربت عُنُقها.

قال عِكْرِمة وغيره: صياصيهم: حصونهم.

وقال يونس، عن ابن إسحاق[3]: ثم بعث النّبيُّ ﷺ سعدَ بنَ زيد، أخا بني عبدالأشهل بسبايا بني قُرَيْظة إلى نَجْدٍ، فابتاع له بهم خيلاً وسلاحاً. وكان ﷺ قد اصطفى لنفسه رَيْحانة بنت عَمْرو بن خُنَافة، وكانت عنده حتى تُوُفّي وهي في مِلْكه، وعرض عليها أن يتزوَّجها، ويضرب عليها الحجابَ، فقالت: يا رسولَ الله بل تتركني في مالك فهو

---

(١) أي: تضرب إلى الحمرة، أي على لون الورد حين هَمَّ يتفتح.
(٢) ابن هشام ٢/ ٢٤٢.
(٣) ابن هشام ٢/ ٢٤٥.

أخفُّ عليكَ وعليَّ. فتركها. وقد كانت أوّلاً توقَّفتْ عن الإسلام ثم أسلمت، فَسُرَّ النّبيُّ ﷺ بذلك، والله أعلم.

وفي ذي الحجة:

وفاة سعد بن مُعَاذ من سنة خمس

هشام بن عُرْوة، عن أبيه، عن عائشة، قالت: أُصيب سعد يوم الخندق، رماه رجلٌ من قُرَيش يقال له حِبّان بن العَرِقَة، رماه في الأكحل، فضرب عليه رسول الله ﷺ خيمةً في المسجد ليعوده من قريبٍ. فلما رجع من الخندق؛ وذكر الحديث، وفيه قالت عائشة: ثم إنّ كَلْمَهُ تحجَّر للبُرْء فقال: اللَّهُمَّ إنّك تعلم انّه ليس أحدٌ أحبَّ إليّ أن أُجاهد فيك من قومٍ كذَّبوا رسولَك وأخرجوه، اللَّهُمَّ فإنّي أظنُّ أنّك وضعتَ الحربَ بيننا وبينهم، فإنْ كان بقي من حرب قريش شيء فَأَبْقِني لهم حتّى أُجاهدهم فيك، وإنْ كنتَ وضعتَ الحربَ بيننا وبينهم فافجرْها واجعل موتي فيها. قال: فانفجر من لَبَّتِه، فلم يَرُعْهُم - ومعهم في المسجد أهل خيمةٍ من بني غفار - إلاّ والدَّم يسيل إليهم، فقالوا: يا أهل الخيمة، ما هذا الذي يأتينا من قِبَلكم؟ فإذا سعدٌ جُرْحُهُ يَغْذُو فمات منها. مُتَّفقٌ عليه[1].

وقال اللَّيث: حدّثني أبو الزُّبَيْر، عن جابر، قال: رُمي سعدٌ يوم الأحزاب فقطعوا أَكْحَلَه، فحسمه رسولُ الله ﷺ بالنّار، فانتفخت يده، فتركه، فنزفه الدَّمُ فحسمه أخرى. فانتفخت يده، فلما رأى ذلك قال: اللَّهُمَّ لا تُخْرِجْ نفسي حتى تُقِرّ عيني من بني قُرَيْظة. فاستمسك عِرْقُه فما

---

(١) البخاري ٥/ ١٤٤، ومسلم ٥/ ١٦٠.

قطرت منه قطرة، حتى نزلوا على حُكم سعد، فأرسل إليه رسولُ الله ﷺ، فحكم أن تُقتلَ رجالُهم وتُسْبى نساؤهم وذراريهم، قال: وكانوا أربع مئة. فلما فرغ من قتلهم، انفتق عِرْقُه فمات. حديث صحيح[1]. [2].

وقال ابن راهويْه: حدثنا عَمْرو بن محمد القُرَشي، قال: حدثنا عبدالله بن إدريس، عن عُبَيْدالله، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ هذا الذي تحرّك له العرشُ ـ يعني سعد بن مُعاذ ـ وشيَّع جنازَته سبعون ألف مَلَك، لقد ضُمَّ ضَمَّةً ثم فُرِّجَ عنه[3].

وقال سليمان التَّيْمي، عن الحسن: اهتزّ عرشُ الرحمن فرحاً بروحه[4]. [5].

وقال يزيد بن عبدالله بن الهاد، عن مُعاذ بن رفاعة، عن جابر، قال: جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ فقال: مَنْ هذا العبد الصالح الذي مات؛ فُتحت له أبوابُ السماء وتحرّك له العرش؟ قال: فخرج رسول الله ﷺ فإذا سعد بنُ مُعَاذ، فجلس رسولُ الله ﷺ على قبره وهو يُدْفَن، فبينما هو جالس قال: سبحان الله ـ مرّتين ـ فسبّح القوم. ثم قال: الله أكبر الله أكبر، فكبَّرَ القومُ. فقال: عجِبْتُ لهذا العبد الصالح شُدِّدَ عليه في قبره حتى كان هذا حين فُرِّج له[6].

روى بعضَه محمدُ بنُ إسحاق، عن مُعاذ بن رِفاعة، قال: أخبرني

---

(١) أحمد ٣/ ٣٥٠، والدارمي(٢٥١٢)، والترمذي (١٥٨٢) وصححه، والبيهقي في الدلائل ٤/ ٢٧-٢٨.

(٢) كتب على هامش الأصل: «هذا السند على شرط مسلم».

(٣) دلائل النبوة ٤/ ٢٨.

(٤) انظر وفاة سعد بن معاذ في الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ٤٢٤-٤٣٤.

(٥) كتب على هامش الأصل: «على شرط البخاري».

(٦) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٣٢، وانظر مسند أحمد ٣/ ٣٢٧و٣٦٠و٣٧٧.

محمود بن عبدالرحمن بن عَمْرو بن الجَمُوح، عن جابر.

وقال يونس، عن ابن إسحاق[1]: حدّثني مُعَاذ بن رِفاعة الزُّرْقي، قال: أخبرني من شئت من رجال قومي أنّ جبريل أتى النَّبيّ ﷺ في جوف اللّيل مُعْتَجِراً بعمامة من إسْتَبْرَقَ، فقال: يا محمد مَنْ هذا الميت الذي فُتِحَت له أبوابُ السماء واهتزّ له العرش؟ فقام رسول الله ﷺ يجرّ ثوبه مُبادراً إلى سعد بن معاذ فوجده قد قُبِض.

وقال البكّائيّ، عن ابن إسحاق[2]: حدّثني من لا أتّهم، عن الحَسَن البصْرِي، قال: كان سعد رجلاً بادناً، فلما حمله النّاس وجدوا له خفّة. فقال رجال من المنافقين: والله إنْ كان لَبَادِناً وما حملنا من جنازةٍ أخفّ منه. فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ فقال: إنّ له حَمَلَةً غيركم، والذي نفسي بيده لقد استبشَرَت الملائكة بروح سعدٍ واهتزّ له العرش.

وقال يونس، عن ابن إسحاق[3]: حدّثني أميَّة بن عبدالله أنّه سأل بعضَ أهلِ سعد: ما بَلَغَكم من قول رسول الله ﷺ في هذا؟ فقالوا: ذُكِر لنا أنّ رسول الله ﷺ سُئل عن ذلك فقال: كان يقصّر في بعض الطُّهور من البَوْل[4].

وقال يزيد بن هارون: أخبرنا محمد بن عَمْرو بن علقمة، عن أبيه، عن جدّه، عن عائشة، قالت: خرجتُ يوم الخندق أقفو آثار النّاس، فسمعت وئيد الأرض، تعني حسّ الأرض، ورائي، فالتفتُّ فإذا أنا بسعد بن مُعاذ ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل مِجَنَّه. فجلستُ،

---

(١) ابن هشام ٢/ ٢٥٠-٢٥١.
(٢) ابن هشام ٢/ ٢٥١.
(٣) ابن هشام ١/ ٤٣٠.
(٤) كتب على هامش الأصل: «من هنا إلى آخر الترجمة أُخذ من الطبقات لابن سعد».

فمرّ سعدٌ وهو يقول:

لبِّثْ قليلاً يُدْرِكِ الهَيْجا حَمَلْ ما أحْسَنَ المَوْتَ إذا حانَ الأجَلْ

قالت: وعليه درع قد خرجتْ منها أطرافه، فتخوَّفْت على أطرافه، وكان من أطول النّاس وأعظمهم. قالت: فاقتحمتُ حديقةً، فإذا فيها نفرٌ فيهم عمر، وفيهم رجل عليه مغْفَر. فقال لي عمر: ما جاء بكِ؟ والله إنّكِ لجريئة، وما يؤمنكِ أن يكون تَحَوُّزاً وبَلاءً. فما زال يلومني حتى تمنّيت أنْ الأرض انْشَقَّت ساعتئذٍ فدخلتُ فيها. قالت: فرفع الرجل المِغْفَر عن وجهه، فإذا طلحة بن عُبَيْدالله، فقال: وَيْحَكَ، قد أكثرت وأين التحوّز والفِرار إلاّ إلى الله؟ قالت: ويرمي سعداً رجلٌ من قُرَيْش، يقال له ابن العَرِقَة، بسهم، فقال: خُذْها، وأنا ابن العَرِقَة. فأصاب أكْحَلَه. فدعا الله سعدٌ فقال: اللَّهُمَّ لا تُمِتْني حتى تشفيني من قُرَيْظَة. وكانوا مواليه وحُلفَاءه في الجاهلية. فرقأ كَلْمُه وبعث اللهُ الريحَ على المشركين. وساق الحديث بطوله. وفيه قالت: فانفجر كَلْمُه وقد كان بَرِىء حتى ما يُرَى منه إلاّ مثل الخُرْص[1]. ورجع إلى قُبّته. قالت: وحضره رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر. فإنّي لأعرف بكاءَ أبي بكر من بكاء عمر، وأنا في حُجْرتي، وكانوا كما قال الله تعالى ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح]. قال: فقلت: ما كان رسولُ الله ﷺ يصنع؟ قالت: كانت عيناه لا تدمع على أحد ولكنّه إذا وَجَدَ فإنّما هو آخذٌ بلحيته[2].

وقال حمّاد بن سَلَمَة، عن محمد بن زياد، عن عبدالرحمن بن عَمْرو بن سعد بن مُعَاذ، أنّ بني قُرَيْظة نزلوا على حُكم رسول الله ﷺ، فأرسل إلى سعد بن مُعاذ فأُتي به محمولاً على حمار وهو مُضْنى من جرحه، فقال له: أشِرْ عليّ في هؤلاء. فقال: إنّي أعلم أنّ الله قد أمرك

(١) الخاتم أو حلقة القرط.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٢٣، وأحمد في المسند ٦/ ١٤١-١٤٢.

فيهم بأمرٍ أنت فاعلُه. قال: أجل، ولكنْ أشِرْ عليّ فيهم. فقال: لو وُلِّيتُ أمرَهم قتلتُ مُقاتلَتهم وسبيتُ ذَراريهم وقسمتُ أموالَهم. فقال: والذي نفسي بيده لقد أشرتَ عليَّ فيهم بالذي أمَرني الله به[1].

وقال محمد بن سعد: أخبرنا خالد بن مَخْلَد، قال: حدّثني محمد ابن صالح التمّار، عن سعد بن إبراهيم، سمع عامر بن سعد، عن أبيه، قال: لما حكم سعد بنُ مُعاذ في قُرَيْظة أن يُقتل مَنْ جرت عليه الموسى، قال رسول الله ﷺ: لقد حكم فيهم بحكم الله الذي حكم به من فوق سبع سماوات[2].

وقال ابن سعد: أخبرنا يزيد، قال: أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد، عن رجل من الأنصار، قال: لما قضى سعد في قُرَيْظة ثمّ رجع انفجر جرحه، فبلغ ذلك النّبيّ ﷺ، فأتاه فأخذ رأسه فوضعه في حِجْره، وسُجِّي بثوبٍ أبيض إذا مُدّ على وجهه بَدَتْ رِجْلاهُ، وكان رجلاً أبيضَ جسيماً، فقال رسول الله ﷺ: اللَّهُمَّ إنّ سعداً قد جاهد في سبيلك وصدَّق رسولك وقضى الذي عليه، فتقبَّلْ روحَه بخير ما تقبَّلتَ روح رجل. فلما سمع سعد كلامَ رسولِ الله ﷺ فتح عينيه، فقال: السّلام عليك يا رسول الله، أشهد أنّك رسول الله. قال: وأمّه تبكي وتقول:

وَيْلُ أمّ سعدٍ سعدا حَزَامَةً وَجِدّا

فقيل لها: أتقولين الشِّعْرَ على سعد؟ فقال رسول الله ﷺ: دعوها فغيرها من الشعراء أكذب.

وقال عبدالرحمن بن الغسيل، عن عاصم بن عمر بن قَتَادَة، عن محمود بن لبيد، قال: لما أُصيب أكْحَلُ سعدٍ حَوَّلوه عند امرأةٍ يقال لها

---

(١) البخاري ٤/ ٨١ و ٥/ ٤٤ و ١٤٣ و ٨/ ٧٢، ومسلم ٥/ ١٦٠، وأحمد ٣/ ٢٢ و٧١، والطبقات الكبرى ٣/ ٤٢٥.

(٢) الطبقات ٣/ ٤٢٦، والفتح ٧/ ٤١٢ ونسبه إلى النسائي.

رُفَيْدة، وكانت تداوي الجَرْحَى، قال: وكان النّبيّ ﷺ إذا مرّ به يقول: كيف أمسيت؟ وإذا أصبح قال: كيف أصبحت؟ فيخبره، فذكر القصّة.

وقال: فأسرع النّبيّ ﷺ المشي إلى سعد، فشكا ذلك إليه أصحَابه، فقال: إنّي أخاف أن تسبقنا إليه الملائكة فتغسله كما غسَّلتْ حنظلة. فانتهى رسول الله ﷺ إلى البيت وهو يُغَسّل، وأمّه تبكيه وتقول:

وَيْلُ أمّ سعدٍ سعدا حَزَامَةً وجِدّا

فقال رسول الله ﷺ: كلّ نائحة تكذبُ إلاّ أمّ سعد. ثم خُرِجَ به فقالوا: ما حَمَلْنا ميتاً أخفَّ منه. فقال النّبيُّ ﷺ: ما يمنعكم أن يَخِفّ عليكم وقد هبط من الملائكة كذا وكذا لم يهبطوا قطّ، قد حملوه معكم.

وقال شُعْبة: أخبرني سِماك بن حرب، قال: سمعت عبدالله بنَ شدّاد يقول: دخل رسول الله ﷺ على سعد بن مُعاذ وَهوَ يكيد[1] بنفسه فقال: جزاك الله خيراً من سيّد قومٍ، فقد أنجزت الله ما وعدْتَه ولَيُنْجزنَّك الله ما وَعَدَكَ.

وقال ابن نُمَيْر: حدّثنا عُبَيْدالله بن عمر، عن نافع، قال: بلغني أنّه شهد سعداً سبعون ألف مَلَكٍ لم ينزلوا إلى الأرض.

رواه غيره: عن عُبَيْدالله، عن نافع، فقال: عن ابن عمر.

وقال شَبابة: أخبرنا أبو معشر، عن المَقْبُري، قال: لما دفن رسولُ الله ﷺ سعداً قال: لو نجا أحدٌ من ضغطة القبر لنجا سعد ولقد ضُمَّ ضمَّةً اختلفتْ منها أضلاعه من أثر البول[2].

وقال يزيد بن هارون: أخبرنا محمد بن عَمْرو، عن [محمد بن

---

(١) أي: يجودُ بها.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٣٠.

المنكدر، عن][1] محمد بن شُرَحبيل، أن رجلاً أخذ قبضةً من تراب قبر سعد يوم دُفِن، ففتحها بعد فإذا هي مِسْك.

وقال محمد بن موسى الفِطْري: أخبرنا مُعاذ بن رِفاعة الزُّرقي، قال: دُفِن سعد بن مُعاذ إلى أُسّ دار عقيل بن أبي طالب.

قال محمد بن عَمْرو بن علقمة: حدّثني عاصم بن عمر بن قَتَادَة أنّ رسول الله ﷺ استيقظ فجاءه جبريل، أو قال: مَلَكٌ فقال: مَن رجلٌ من أُمَّتك مات الليلة استبشر بموته أهلُ السماء؟ قال: لا أعلمه، إلاّ أنّ سعد ابن مُعاذ أمسى قريباً[2]، ما فعل سعد؟ قالوا: يا رسول الله قُبِض وجاء قومُه فاحتملوه إلى دارهم. فصلّى رسول الله ﷺ بالنّاس الصُّبح، ثم خرج وخرج النّاس مَشْياً حتى إنَّ شسوع نِعالهم تقطع من أرجلهم وإنّ أرْدِيتهم لتسقُط من عواتقهم، فقال قائل: يا رسول الله قد بَتَّتَّ[3] النّاسَ مَشْياً، قال: أخشى أن تسبقنا إليه الملائكة كما سَبَقَتْنا إلى حنظلة[4].

شُعبة: حدثنا سعد بن إبراهيم، عن نافع، عن عائشة، عن النّبيّ ﷺ، قال: «إنّ للقبر ضغطة، ولو كان أحد ناجياً منها نجا منها سعد بن مُعاذ».

شُعبة: حدّثني أبو إسحاق، عن عَمْرو بن شُرَحْبيل، قال: لما انفجر جرح سعد بن مُعَاذ التزمه رسول الله ﷺ، جعلتِ الدماءُ تَسيلُ على النّبيّ ﷺ، فجاء أبو بكر فقال: واكَسْرَ ظهرناه، فقال: مَه يا أبا بكر. ثم جاء

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة من ابن سعد (٣/ ٤٣١) كأن المؤلف ذهل عنها، وانظر تهذيب الكمال ٢٦/ ٥٠٧.

(٢) هكذا في نسخة البشتكي، وفي نسخة (ع): «دَنِيّاً» وفي طبقات ابن سعد ٣/ ٤٢٣: «دنفاً» وكلها بمعنى.

(٣) أي: أتعبتَ الناسَ مشياً.

(٤) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٢٣-٤٢٤.

عمر فقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

روى عُقْبة بن مُكْرَم: حدثنا ابن أبي عَدِيّ، عن شُعبة، عن سعد بن إبراهيم، عن نافع، عن صفيّة بنت أبي عُبَيْد، عن عائشة، مرفوعاً: لو نجا أحدٌ من ضمّة القبر لنجا منها سعد. وقد تقدّم هذا، وما فيه صفيّة.

وليس هذا الضّغط من عذاب القبر في شيء، بل هو من رَوْعات المؤمن كنزْع روحه، وكَألمِه من بكاء حميمه عليه، وكَرَوْعته من هجوم مَلَكَيْ الامتحانِ عليه، وكَرَوْعتِه يومَ الموقفِ وساعةَ وُرُودِ جهنّم، ونحو ذلك. نسأل الله أن يُؤَمِّنَ روعاتنا.

وقال يزيد بن هارون: أخبرنا محمد بن عَمْرو، عن أبيه، عن جدّه، عن عائشة، قالت: ما كان أحد أشدّ فقْداً على المسلمين بعد رسول الله ﷺ وصاحبيه أو أحدهما من سعد بن مُعاذ[1].

وقال الواقديّ[2]: أخبرنا عتبة بن جَبِيرة، عن الحُصَيْن بن عبدالرحمن بن عَمْرو بن سعد بن مُعاذ، قال: كان سعد بن مُعاذ أبيض طوالاً، جميلاً، حَسَن الوجه، أعْيَن، حَسَن اللّحْية. فرُمي يوم الخندق سنة خمسٍ فمات منها، وهو ابن سبعٍ وثلاثين سنة. ودُفن بالبقيع.

وقال أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي سُفْيان، عن جابر، قال رسول الله ﷺ: «اهتزَّ عرشُ الله لموت سعد بن مُعاذ».

وقال عَوْف، عن أبي نَضْرة، عن أبي سعيد، قال رسول الله ﷺ: «اهتز العرش لموت سعد بن مُعاذ».

وقال يزيد بن هارون: أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد، عن إسحاق ابن راشد، عن امرأة من الأنصار يقال لها أسماء بنت يزيد بن السَّكَن،

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٣٣.

(٢) المغازي ٢/ ٥٢٥.

أنّ رسول الله ﷺ قال لأمّ سعد بن مُعَاذ: «ألا يَرْقأُ دَمْعُكِ ويذهب حزنُك بأن ابنَك أوّل من ضحك الله له واهتزّ له العرش؟».

وقال يوسف بن الماجشون، عن أبيه، عن عاصم بن عمر بن قَتَادة، عن جدّته رُمَيْثَة أنّها قالت: سمعت رسول الله ﷺ ـ ولو أشاء أن أقبّل الخاتم الذي بين كتفيه من قُربي منه لَفَعَلْتُ ـ يقول لسعد بن مُعاذ يوم مات: «اهتزّ له عرش الرحمن»[1].

وقال محمد بن فُضَيْل، عن عطاء بن السّائب، عن مجاهد، عن ابن عمر، قال: اهتزّ العرش لحبّ لقاء الله سعداً. قال: إنّما يعني السّرير. قال: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴿١٠٠﴾﴾ [يوسف] قال: تفسّختْ أعوادُه. قال: ودخل رسول الله ﷺ قبرَه فاحتُبِس، فلما خرج قيل له: يا رسول الله: ما حبسكَ؟ قال: ضُمَّ سعدٌ في القبر ضمَّة فدعوْت الله يكشف عنه[2].

وقال الثَّوْرِي وغيره، عن أبي إسحاق، عن البَرَاء أنَّ النّبيَّ ﷺ أُتيَ بثوب حرير، فجعل أصحابُه يتعجّبون من لِينه فقال: «إنّ مناديل سعد بن مُعاذ في الجنّة ألْين من هذا». مُتّفقٌ على صحّته[3].

وقال يزيد بن هارون: أخبرنا محمد بن عَمْرو، عن واقد بن عَمْرو ابن سعد بن مُعاذ، قال: دخلت على أنَس بن مالك؛ وكان واقدٌ من أعظم النّاس وأطولهم؛ فقال لي: من أنت؟ قلت: أنا واقد بن عَمْرو بن سعد بن مُعاذ. فقال: إنّك بسعد لشبيه، ثم بكى فأكثَرَ البكاء. ثم قال: يرحم الله سعداً، كان من أعظم النّاس وأطولهم. ثم قال: بعث رسول الله ﷺ جيشاً إلى أُكَيْدر دُومة، فبعث إلى رسول الله بجُبّةٍ من دِيباج

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٣٥.
(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٣٣.
(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٣٥.

منسوج فيها الذَّهَب، فلبسها رسول الله ﷺ، فجعل النّاس يمسحونها وينظرون إليها، فقال: أتعجبون من هذه الجُبَّة؟ قالوا: يا رسول الله ما رأينا ثوباً قطّ أحسن منه، قال: فَوَالله لَمَناديل سعد بن مُعاذ في الجنّة أحسن ممّا تَرون[1].

قلت: هو سعد بن مُعاذ بن النُّعمان بن أمرىء القَيْس بن زيد بن عبدالأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عَمْرو، ولقبه النَّبيْت، ابن مالك بن الأوس؛ أخي الخَزْرج؛ وهما ابنا حارثة بن عَمْرو؛ ويُدعى حارثة العنقاء؛ وإليه جماع الأوس والخزرج أنصار رسول الله ﷺ. ويُكنى سعد أبا عَمْرو، وأمّه كَبْشة بنت رافع الأنصاريّ، من المُبايعات. أسلم هو وأُسَيْد بن الحُضَير على يد مُصْعب بن عُمَيْر، وكان مُصْعب قَدِم المدينةَ قبل العقبة الآخرة يدعو إلى الإسلام ويُقْرىء القرآن. فلما أسلم سعد لم يبق من بني عبدالأشهل ـ عشيرة سعد ـ أحدٌ إلاّ أسلم يومئذٍ. ثم كان مُصْعَب في دار سعد هو وأسعد بن زرارة، يدعوان إلى الله. وكان سعد وأسعد ابنَيْ خالة. وآخى النّبيُّ ﷺ بين سعد بن مُعاذ وأبي عُبَيْدة بن الجرّاح. قاله ابن إسحاق[2].

وقال الواقديّ، عن عبدالله بن جعفر، عن سعد بن إبراهيم، وغيره: آخى النّبيّ ﷺ بينه وبين سعد بن أبي وقّاص[3].

شهد سعد بدْراً، وثبت مع رسول الله ﷺ يوم أُحُد حين ولّى النّاس.

وقال أبو نُعَيْم: حدثنا إسماعيل بن مُسلم العبدي: حدثنا أبو المتوكّل، أنّ النّبيّ ﷺ ذكر الحُمَّى، فقال: مَنْ كانت به فهي حظُّه من النَّار. فسألها سعد بن مُعاذ ربَّه، فلزِمَتْه فلم تفارقْه حتى فارق الدنيا.

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٣٥-٤٣٦.
(٢) وانظر طبقات ابن سعد ٣/ ٤٢٠-٤٢١.
(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٢١.

وكان لسعد من الولد: عَمْرو، وعبدالله، وأمُّهما: عمّة أُسَيْد بن الحُضَير هند بنت سِماك من بني عبدالأشهل، صحابيّة. وكان تزوّجها أوس بن مُعاذ أخو سعد ـ وقُتلَ عبدالله بن عَمْرو بن سعد ـ يوم الحَرَّة[1].

وكان لعمرو من الولد: واقد بن عَمْرو، وجماعة قيل إنّهم تسعة.

وقُتِلَ عَمْرو أخو سعد بن مُعاذ يوم أُحُد، وقُتِلَ ابن أخيهما الحارث ابن أوس يومئذٍ شاباً، وقد شهدوا بدْراً، والحارث أصَابه السَّيفُ ليلة قَتَلوا كعب بن الاشرف، واحتمله أصحابُه. وشهد بعد ذلك أُحُداً.

روى عن سعد بن مُعاذ: عبدالله بن مسعود قصّتة بمكة مع أُميَّة بن خَلَف، وذلك في صحيح البخاري[2]

وحصن بني قُرَيْظة على أميالٍ من المدينة، حاصرهم النّبيّ ﷺ خمساً وعشرين ليلة.

واستشهد من المسلمين: خلاّد بن سُوَيد الأنصاري الخزرجي، طُرِحت عليه رَحَى، فَشَدَخَتْه[3].

ومات في مدّة الحصار أبو سِنان بن مِحْصَن، بدريّ مهاجري، وهو أخو عكّاشة بن مِحْصَن الأسدي. شهد هو وابنه سِنان بدْراً. ودُفن بمقبرة بني قُرَيْظة التي يتدافن بها من نزل دُورهم من المسلمين، وعاش أربعين سنة، ومنهم من قال: بقي إلى أن بايع تحت الشَّجرة.

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٢٠.
(٢) البخاري ٤/ ٢٤٩.
(٣) ابن هشام ٢/ ٢٤٢.

إسلام ابني سَعْيَة

وأسد بن عُبَيْد

قال يونس بن بُكَيْر، وجرير بن حازم، عن ابن إسحاق: حدّثني عاصم بن عمر بن قَتَادَة، عن شيخ من بني قُرَيْظة، أنه قال: هل تدري عَمَّ كان إسلامُ ثَعْبَلَة وأسد ابني سَعْيَة، وأسد بن عُبَيْد، نفر من هَدْل، لم يكونوا من بني قُرَيْظة ولا نَضِير، كانوا فوق ذلك؟ قلت: لا. قال: إنّه قدِم علينا رجل من الشام يهوديّ، يقال له ابن الهَيْبَان، ما رأينا خيراً منه. فكنّا نقول إذا احتبس المطر: استسْقِ لنا. فيقول: لا والله، حتى تُخْرِجوا صدقةً صاعاً من تمر أو مدّاً من شعير. فنفعل، فيخرج بنا إلى ظاهر حَرَّتنا. فَوَالله ما يبرح مجلسه حتى تمرَّ بنا الشِّعابُ تَسِيلُ. قد فعل ذلك غير مرّة ولا مرّتين. فلما حَضَرَتْه الوفاة، قال: يا معشر يهود؛ ما ترونه أخرجني من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع؟ قلنا: أنت أعلم. قال: أخرجني نبيٌّ أتوقّعه يُبعث الآن فهذه البلدة مُهَاجره، وإنّه يُبعث بسفك الدماء وسبي الذّريّة، فلا يمنعنّكم ذلك منه ولا تُسبقنَّ إليه. ثم مات.

زاد يونس بن بُكَيْر في حديثه: فلما كانت الليلة التي افتُتِحت فيها قُرَيْظة قال أولئك الثلاثة، وكانوا شُبَّاناً أحداثاً: يا معشر يهود، هذا الذي كان ذكر لكم ابن الهَيبان. قالوا: ما هو؟ فقالوا: بلى والله إنّه لَهُوَ بصفتِه. ثم نزلوا فأسلموا وخلَّوا أموالَهم وأهلَهم، وكانت في الحِصْنِ، فلما فتح رُدَّ ذلك عليهم.